أَصلُ المفردةِ القرآنيَّةِ عندَ ابنِ قُتيبة في كتابِهِ تفسيرُ غريبِ القرآن

د. فهد بن إبراهيم الضالع (*)

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اعتنى أئمة الإسلام الأوائل بكتاب الله تعالى، سواء بتفسيره أو لغته أو شتى العلوم المتعلقة به. ومن هؤلاء العلماء المتقدمين أبو محمد عبد الله بن قتيبة، وكان مما سبق إليه في كتابه الموسوم «تفسير غريب القرآن» إشارته إلى أصل الكلمة التي يريد تفسيرها، ومن خلال هذا الملمح وفق الله الباحث ليجمع هذه المواضع من هذا الكتاب، ثم إنه جاء عرض البحث بمقدمة، ثم ترجمة لابن قتيبة، ثم نظرة سريعة في كتاب «تفسير غريب القرآن»، ثم تقسيم الأصل إلى أصل تأريخي حيث يراد به أول الإطلاق، وأصل صرفي يراد به الميزان الصرفي، وأصل يتعلق بعود إطلاقات الكلمة إليه، ثم بعد ذلك انتقاء اثنتين وعشرين لفظة ينطبق عليها شرط البحث، وتمت دراسة كل لفظة في مطلب مستقل، وكان شأن الباحث أن يجعل كلام أبي محمد بن قتيبة أصلاً، ثم يعلق عليه بما لف لفه من تفسير السلف وأهل المعاجم اللغوية المتقدمين، ولاسيما أحمد بن فارس في مقاييسه، ثم يقلِّب التفاسير وكيف اقتربوا من هذا الأصل الذي أورده ابن قتيبة أو ابتعدوا، فوجد تفاسير تنص على الأصل كالطاهر بن عاشور، وابن عطية - على تفاوت بينهما - ثم يجتهد الباحث في التحليل والجمع والتقريب مما يقتضيه مقام تفسير القرآن العظيم وغريبه ولغته، ثم ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

(*) أستاذ مشارك، قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة، جامعة القصيم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من فضل الله على عباده أن جعل بين أيدهم كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد، وتكفَّل بحفظه حتى قيام الساعة، فهو منهل لكل فضل، ومنبع لكل خير، وكاشف لكل كرب، وشفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين والمتنكبين عن سبيله إلا خساراً.

ويظل فضل هذا الكتاب الكريم رابياً، وبحره زاخراً فلم ينقص بتردد العلماء والباحثين عليه عبر القرون، فهو الهداية والعلم والرشد والصراط المستقيم.

ولقد كان من فضل الله على المتخصصين في دراسة التفسير وعلوم القرآن أن يختصوا به ويبذلوا جهودهم فيه وأوقاتهم في علومه.

وكان من سابقة عملي في بعض بحوثي أن أكثرت التأمل في كتاب أبي الحسن ابن فارس «مقاييس اللغة» وكيف صاغه بهذه الطريقة الفريدة، فكنت أجد له براعة في عرضه وتأمله ونقاء قريحته وبُعد غوره حين يغوص إلى أعماق الاستعمال العربي، فيأتي من جميع دررها بأصل واحد ينطبق عليها جميعها، وكأن هذا الأصل الذي انتقاه وابتدعه روح تتحرك بها الاستعمالات المشهورة في العربية.

وبينما أنا كذلك ومع قراءتي أكثر من مرة لكتابَي «المشكل» و«الغريب» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، فإذا أنا أمام قوله: «وأصْل كذا وكذا...» إلخ. ولقد سبرت كغيري ابن قتيبة مع تقدمه وسابقته في العلم، وكيف يهذب ما يكتب ويرتبه وينتخبه ويُوليه فائق العناية والاختيار.

فطفقت أتأمل كيف يريد بالأصل وطريقته فيه، ولاسيما أنه استعمله في كلامه على ألفاظ القرآن العظيم، فعزمت على جمع ما نصَّ فيه على الأصل من كتابه الغريب،

ونفيت الأصول المتعلقة بالميزان الصرفي وأبقيت على تلك المتعلقة بالمعنى والاشتقاق؛ لعلاقتها المباشرة بالتفسير والمراد بالآية، وأزمعت على الجمع بين كلامه وكلام من هو بين يديه ومن خلفه من أئمة اللغة والغريب والمعاني والتفسير، فكنت ألتقط الذي يصرح بالأصل ومن يقاربه من عبارات الكناية، ثم أقارن بين أقوالهم وأُوازِن وأجتهد من بعد كدٍّ للذهن واستعانة بدقيق العبارة من أحدهم على الآخر، ثم أعرج على تفسير الآية من أهل التفسير تتميماً للفائدة، وقد رأيت أن تكون خطة البحث:

المقدمة:

أولاً: **التمهيد**: وفيه:

أولاً: ترجمة ابن قتيبة الدينوري.

ثانياً: التعريف بكتابه: غريب القرآن.

ثالثاً: أصل المفردة القرآنية.

ثانياً: **قسم الدراسة**: أصل المفردة القرآنية عند ابن قتيبة من خلال كتابه «غريب القرآن».

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل فضلاً منه ورحمة، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وباباً للعلم النافع والاستفادة من أهل الفضل، والحمد لله رب العالمين.

أولاً: التمهيد

أولاً: ترجمة ابن قتيبة الدينوري:

اسمه ونسبه ومولده[1]:

عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوريّ النحويّ اللغوىّ العالم، صاحب التصانيف الحسان في فنون العلوم، مروزيّ الأصل، ولد ببغداد، وقيل: بالكوفة، ونشأ بها وتأدّب، وأقام بالدّينور مدّة فنسب إليها، ولا خلاف بين الذين ترجموا لأبي محمد في السنة التي ولد فيها وهي سنة (٢١٣هـ) في أواخر خلافة المأمون، ونشأ ببغداد.

شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ على يد عدد كبير من العلماء منهم:

١. والده: مسلم بن قتيبة، يحدث عنه مرات في كتابيه: «عيون الأخبار»، و«المعارف».
٢. أحمد بن سعيد اللحياني، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، قرأ عليه: كتاب «الأموال»، وكتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد في سنة (٢٣١هـ)، ومعنى هذا أن عمر «ابن قتيبة» كان عندها ثمانية عشر عاماً.
٣. أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحيّ (٢٣١هـ) صاحب طبقات الشعراء.
٤. ابن راهويه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم (٢٣٨هـ)، وهو من أئمة الفقه والحديث، صحب الشافعيّ وناظره، وروى عنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ العلماء النحويين للتنوخي (ص٢٠٩)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٦٢٧/٢)، تاريخ بغداد (٤١١/١١)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص١٥٩)، تاريخ أربل (٤٧٧/٢)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٤٣/٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٨٠/٢)، وفيات الأعيان (٤٢/٣)، تاريخ الإسلام (٥٦٥/٦)، سير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣)، ميزان الاعتدال (٥٠٣/٢)، الوافي بالوفيات (٣٢٦/١٧)، لسان الميزان (٩/٥)، بغية الوعاة (٦٣/٢)، طبقات المفسرين للداودي (٢٥١/١)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص٤٤)، الأعلام للزركلي (١٣٧/٤)، معجم المؤلفين (٤٠٢/١٣).

٥. حرملة بن يحي التجيبي (٢٤٣هـ) صاحب الشافعيّ.

٦. يحي بن أكثم القاضي (٢٤٢هـ)، ويقال: إن ابن قتيبة أخذ عنه بمكة.

٧. المروزي أبو عبد الله الحسن بن الحسين بن حرب السلمي (٢٤٦هـ).

٨. دعبل بن علي الخزاعي الشاعر (٢٤٦هـ).

٩. أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البُهْلول الباهلي البصري (٢٤٨هـ).

١٠. الزيادي أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان (٢٤٩هـ) تلميذ: سيبويه، والأصمعي، وأبي عبيدة.

١١. أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٤٨هـ) أو (٢٥٥هـ)، قال الأزهري: «وقد جالسه: شمر، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، ووثقاه»[١].

١٢. محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادي البصري (٢٥٢هـ).

١٣. أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصوَّاف الباهلي البصري (٢٥٣هـ).

١٤. أبو عبد الله محمد بن يحي بن أبي حزم القطعي البصري (٢٥٣هـ).

١٥. أبو الخطاب زياد بن يحي بن زياد الحساني البصري (٢٥٤هـ).

١٦. شبابة بن سوار (٢٥٤هـ).

١٧. أبو عثمان الجاحظ (٢٥٤هـ)، وفي ذلك يقول ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار»: «وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه، قال...».

١٨. أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد البصري (٢٥٧هـ).

١٩. أبو طالب زيد بن أخزم الطائي البصري (٢٥٧هـ).

٢٠. أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي، تلميذ الأصمعي (٢٥٧هـ).

٢١. أبو سهل الصفار عبدة بن عبد الله الخزاعي (٢٥٨هـ).

٢٢. عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبديّ (٢٦٠هـ).

---

(١) مقدمة التهذيب (ص ١١).

تلاميذه:

ومن تتلمذ على أبي محمد ينهل من علمه:

١. ابنه أحمد، وهو أبو جعفر ابن قتيبة، أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينَوَريّ البغدادي النشأة، كان مالكي المذهب من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن.

٢. أحمد بن مروان المالكي (٢٩٨هـ).

٣. أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان (٣٠٩هـ).

٤. أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ (٣١٣هـ).

٥. أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكري (٣٢٣هـ).

٦. أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي (٣٣٤هـ).

٧. الهيثم بن كليب الشاشي (٣٣٥هـ)، وقد أخذ عنه الأدب خاصة.

٨. قاسم بن أصبغ الأندلسي (٣٤٠هـ) الّذي كانت رحلته إلى المشرق سنة (٢٧٤هـ).

٩. عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوي (٣٣٥هـ).

١٠. أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزدي (٣٤٨هـ).

١١. أبو بكر أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينَوَريّ.

١٢. أبو عبد الله بن أبي الأسود (٣٤٣هـ).

١٣. أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي (٢٩٨هـ).

مؤلفاته: أهم مؤلفات ابن قتيبة:

أدب الكاتب: طبعه أولاً سيرول في ليبسيك سنة (١٨٧٧م)، مع خلاصة إنجليزية، وأعاد طبعه المستشرق الألماني غرونرت في ليدن سنة (١٩٠٠م)، ثم طبع عدة طبعات، أجودها طبعة المطبعة السلفية في القاهرة سنة (١٣٤٦هـ)، بإشراف محب الدين الخطيب، وطبعة جديدة بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، سنة (١٣٥٥هـ) بمصر.

الأشربة: طبع بتحقيق محمد كرد علي بالمجمع العلمي بدمشق سنة (١٩٤٧م)، ثم طبع عدة طبعات، منها طبعة بتحقيق حسام الدين البهنساوي، نشرته مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة، عام (١٩٩٨م).

إصلاح غلط أبي عبيد: نشر محمد عظيم الدين محقق كتاب «غريب الحديث»، لأبي عبيد مقتبسات منه، نشرها على المواد التي وقع فيها النقد من كتاب أبي عبيد، وقد نشرته دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد في الهند سنة (١٣٨٤هـ)، ونشره كاملاً لأول مرة المستشرق الفرنسي جيرار لكونت، الأستاذ في مدرسة اللغات الشرقية، باريس، في مجلة كلية القديس يوسف، بيروت، سنة (١٩٦٨م)، ثم طبع بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري، نشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام (١٤٠٣هـ).

الأنواء: طبع الكتاب بتصحيح: شارل بلا، ومحمد حميد الله، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد بالهند سنة (١٣٧٥هـ).

تأويل مختلف الحديث: طبع بتصحيح الشيخ إسماعيل الأسعردي بمطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة (١٣٢٦هـ)، ثم طبع بتصحيح وضبط الشيخ محمد زهدي النجار، نشرته دار الجيل بلبنان (١٣٩٣هـ)، ثم طبع عدة طبعات: منها طبعة بتحقيق محمد محي الدين الأصفر، نشره المكتب الإسلامي، بيروت، سنة (١٤٠٨هـ).

تأويل مشكل القرآن: حققه السيد أحمد صقر، وقدّم له مقدمة ضافية ترجم فيها ترجمة موسعة للمؤلف، وعرّف بالكتاب، وبين منهجه في تحقيقه، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي عام (١٣٧٣هـ)، ثم صوّر ونشرته دار التراث بالقاهرة عام (١٣٩٣هـ)، ثم طبع عدة طبعات.

التسوية بين العرب والعجم: نشر قطعة منه الشيخ جمال الدين القاسمي في مجلة «المقتبس» في عددها الحادي عشر (ص٦٥٧-٦٦٨)، والثاني عشر (ص٧٢٢-٧٣٥) من المجلد الرابع سنة (١٣٢٧هـ) بعنوان «ذم الحسد»، وأعاد نشرها محمد كرد علي في كتاب «رسائل البلغاء» بعنوان « كتاب العرب أو الرد على الشعوبية» دار الكتب العربية

بالقاهرة سنة (١٣٣١هـ)، ثم طبع الكتاب كاملاً بتحقيق الدكتور: وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، عام (١٩٩٨م).

تفسير غريب القرآن: وقد طبع الكتاب بتحقيق: السيد أحمد صقر، نشرته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة (١٣٧٨هـ)، ثم أعادت نشره دار الكتب العلمية سنة (١٣٩٨هـ)، وللسيد صقر تعليقات مفيدة على الكتاب، إذ نقل فيه الكثير من الآراء، ووازن بينها وبين ما ذكره ابن قتيبة، كما خرَّج الأبيات الشعرية وشرحها، وربط موضوعات الكتاب بأماكنها من كتب التفسير واللغة والأدب، كما طبع الكتاب بعناية: إبراهيم رمضان، نشرته دار الهلال ببيروت.

الردّ على المشبهة والجهمية: طبع أولاً بتحقيق: محمد زاهد الكوثري، في مطبعة السعادة بالقاهرة، سنة (١٣٤٩هـ)، ثم نشره علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي سنة (١٣٩١هـ)، ضمن مجموعة عقائد السلف، ثم طبع عدة طبعات، منها طبعة بتحقيق: عمر محمود، نشرته دار الراية بالرياض، عام (١٤١٢هـ).

عيون الأخبار: نشره كارل بروكلمان بين عامي (١٩٠٠ - ١٩٠٨م) في برلين وستراسبورغ في أربعة أجزاء، ثم طبعته دار الكتب المصرية في أربعة مجلدات (١٣٤٣هـ)، ثم طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام (١٩٧٣م).

غريب الحديث: حققه: د. عبد الله الجبوري، وقدَّم له دراسة وافية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة بغداد عام (١٩٧٦م)، وطبعته وزارة الأوقاف العراقية في ثلاثة مجلدات عام (١٩٧٧م)، ثم طبع بتحقيق: د. رضا السويسي عام (١٩٧٩م) في تونس، وأصله رسالة دكتوراه تقدَّم بها لجامعة باريس (١٩٧٠م)، ثم طبعة ثالثة بعناية نعيم زرزور، نشرته دار الكتب العلمية ببيروت عام (١٤٠٨هـ).

المسائل والأجوبة: طُبع قسم من الكتاب - ١٩ مسألة من أصل ١٩٠ مسألة - في مطبعة السعادة بمصر عام (١٣٤٩هـ)، بعنوان «المسائل والأجوبة في الحديث واللغة»،

ثم طبع الكتاب كاملاً بتحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، نشرته دار ابن كثير ببيروت عام (١٤١٠هـ)، بعنوان «المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير».

المعارف: نشره المستشرق الألماني وستنفلد في جوتنجن سنة (١٨٥٠م)، ثم طبع بتصحيح محمد إسماعيل الصاوي، نشرته المكتبة الحسينية في القاهرة، سنة (١٣٥٣هـ)، ثم كانت أجود طبعات الكتاب بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة، قدّم عليه مقدمة ضافية، واعتمد في تحقيقه على سبع نسخ خطية، نشرته دار المعارف بمصر سنة (١٩٦٠م).

ومن كتبه المفقودة:

الفقه: ذكره القفطي (ت: ٦٤٦هـ)[١]، وذكره ابن النديم باسم «جامع الفقه»[٢].

التفقيه: ذكره القفطي[٣]، وابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)[٤].

عيون الشعر: ذكره ابن النديم، وقال: إنه يحتوي على عشرة كتب: كتاب المراتب، كتاب القلائد، كتاب المحاسن، كتاب المشاهد، كتاب الشواهد، كتاب الجواهر، كتاب المراكب، كتاب المناقب، كتاب المعاني، كتاب المدائح[٥].

بعض ما قيل فيه:

يقول الخطيب البغدادي: «وكان - يعني ابن قتيبة - ثقة ديّناً فاضلاً»[٦].

ويقول ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: «كان ابن قتيبة ثقة في دينه وعلمه»[٧].

---

(١) إنباه الرواة (١٤٣/٢).
(٢) الفهرست (ص٨٥).
(٣) إنباه الرواة (١٤٣/٢).
(٤) وفيات الأعيان (٤٢/٣).
(٥) الفهرست (ص٨٥).
(٦) تاريخ بغداد (٤١١/١١).
(٧) نقله ابن حجر في لسان الميزان (١٠/٥).

ويقول الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «أبو محمد صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية»[1].

ويقول في «تذكرة الحفاظ»: «ابن قتيبة من أوعية العلم، لكنه قليل العمل في الحديث»[2].

وفاته:

أكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هريسة فأصاب حرارة، ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات، وذلك أوّل ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين.

ثانياً: التعريف بكتابه «غريب القرآن»:

«قال عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ: نَفَتَتِحُ كتابَنا هذا بذكْر أسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا؛ فنُخبِرُ بتأويلهما واشتقاقهما؛ ونُتْبِعُ ذلك ألفاظاً كثر تَرْدادُها في الكتاب لم نر بعض السُّور أولى بها من بعض؛ ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن، دون تأويل مُشْكله: إذ كنا قد أفْرَدْنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً، بحمد الله.

وغرضنا الذي امتثَلْناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكمل، وأن نوضِّح ونُجْمِلَ؛ وألّا نستشهدَ على اللفظ المُبْتَذَل، ولا نُكْثِرَ الدّلالةَ على الحرف المستعمل؛ وألّا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد، فإنّا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث: لاحتجنا إلى أن نأتِيَ بتفسير السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بعينه؛ ولو أتَيْنا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي ألَّفَها نَقَلَةُ الحديث؛ ولو تكلَّفْنا بعدُ اقتصاصَ اختلافِهم، وتبيينَ معانيهم، وفتْقَ جُمَلِهم بألفاظنا، وموضعَ الاختيارِ من ذلك الاختلاف، وإقامةَ الدلائل عليه، والإخبارَ عن العلة فيه -: لأسْهبْنا في القول، وأطلنا الكتاب؛ وقَطَعْنا منه طمعَ المُتحفِّظ، وباعَدْناه من بُغْيَة المُتأدِّب؛ وتكلَّفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِيناه وكُفِيناه.

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/٥٠٣).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/٦٣٣).

وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلَّفنا في شيء منه بآرائنا غيرَ معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أَوْلَى الأقاويلِ في اللغة، وأشْبَهَهَا بقصةِ الآية».

في هذه المقدمة الضافية يبين لنا أبو محمد عبد الله بن مسلم اسم كتابه وطريقته فيه، ومع أنني عاودت قراءته فيما قبل إلا أنني أجد عرض كتابه بذات الطريقة التي تحدث هو بها؛ لما في ذلك من حفاظٍ على نقاء فكرته وجمال ترتيبه وصفاء قريحته، فكتابه هذا لخَّصه وخلصه للكلمات الغريبة في كتاب الله تعالى وحسب.

ويمكننا عرض أسلوبه في كتابه من خلال قيله:

أولاً: اسم الكتاب: قال: «ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن، دون تأويل مُشْكله: إذ كنا قد أفْرَدْنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً، بحمد الله». وفي هذه دلالة على أنه كتب الغريب بعد المشكل وأنه عنونه: «غريب القرآن» وأما ذكره للتفسير فهو يريد على سبيل المصدر لا الاسم للكتاب؛ ولذلك قال عن المشكل بعده تأويل ومعلوم: إنه سماه مشكل القرآن.

ثانياً: الاختصار المكمل للمقصود والتوضيح بعبارة مجملة من غير إطناب ولا إسهاب، قال فيه: «وغرضنا الذي امتثَلْناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكْمل، وأن نوضِّح ونُجْمِلَ».

ثالثاً: اجتناب ما يفهمه الناس من الألفاظ التي استهلكوها حتى هضمتها عقولهم وعرفوها، ولا تلك المتداولة كثيراً على ألسنتهم مما لا يحتاج إلى بيان: «وأن لا نستشهدَ على اللفظ المُبْتَذَل، ولا نُكْثِرَ الدّلالةَ على الحرف المستعمل».

رابعاً: اجتناب القضايا النحوية مهما صغرت أو تشعبت خلافاتها: «وألّا نحشُوَ كتابنا بالنحو».

خامساً: وهنا تظهر شخصية خليقة بالدراسة وحدها، وهي تعظيمه للوحي وعلوم الوحي، وذلك أنه كان يتحدث عن اجتناب المبتذل والمتداول والنحو في كتابه فيتحدث

مختصراً، فلما جاء على الحديث عن اجتنابه لروايات الحديث والأثر والأسانيد احتاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُعلي من قدر هذا التفسير وتعظيم شأنه، فأطال الاعتذار واحتاط لدينه وتعظيمه، فقال: «وألّا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد، فإنّا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث لاحتجنا إلى أن نأتِيَ بتفسير السلف - رحمة الله عليهم - بعينه؛ ولو أتَيْنا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي أَلَّفَهَا نَقَلَةُ الحديث؛ ولو تكلَّفْنا بعدُ اقتصاصَ اختلافِهم، وتبيينَ معانيهم، وفتْقَ جُمَلِهم بألفاظنا، وموضعَ الاختيارِ من ذلك الاختلاف، وإقامةَ الدلائل عليه، والإخبارَ عن العلة فيه، لأسْهبْنا في القول، وأطلنا الكتاب؛ وقطعْنا منه طمعَ المُتحفِّظ، وباعَدْناه من بُغْيَةِ المُتأدِّب؛ وتكلَّفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِينَاه وكُفِيناه.

سادساً: مصادره في كتابه: فقال: «وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم».

سابعاً: بُعده عن التكلف في كتابه وشذوذه عن آراء من تقدمه، فقال: «ولا تكلَّفنا في شيء منه بآرائنا غيرَ معانيهم».

ثامناً: إمامته في العربية حيث أحسن توظيفها باختيار أولى الأقاويل في اللغة: «بعد اختيارنا في الحرف أَوْلَى الأقاويلِ في اللغة».

تاسعاً: نظرته التفسيرية في اختيار القول الموائم لسياق الآية التي يتكلم عليها، فقال: «وأشْبَهَهَا بقصةِ الآية».

ثالثاً: أصل المفردة القرآنية:

والمراد بهذا العنوان ليس تفصيله وتعريف كل لفظ منه على حده، فالمفردة القرآنية هي محل البحث والتناول، وهي مرتع واسع للباحثين، سواء من جهة إعرابها أو البحث في علاقة ألفاظها بمعانيها أو غير ذلك مما يتسع به الكلام ويطول به المقام، وأجد أن في اختياري مصطلح (الأصل) للمفردة القرآنية يوجب عليَّ توضيحاً وتفريقاً: فأصل الكلمة يطلق ويراد به أحد أمور ثلاثة:

أولاً: الأصل الأول: الذي هو محل اشتقاق المعنى من اللفظ أول الاستعمال قبل شيوعه في ألفاظ مشهورة من كلام العرب، وهذا هو الأكثر عند ابن قتيبة في كتابَيه «الغريب والمشكل».

ثانياً: الأصل: الذي هو الدلالة المحورية التي ترجع إليها جميع الألفاظ المشهورة من جهة المعنى، فكأنها صبغة تصطبغ بها جميع ألفاظ الباب، وهذا هو ما سبق به أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه «مقاييس اللغة».

ثالثاً: الأصل: الصرفي والمتعلق بميزان الكلمة وأصول حروفها وزوائدها وما يعتري ذلك من إعلال وإبدال وغيرهما.

ولا شك أن القسم الأول والثاني يتقاربان ويتباعدان بحسب الأمثلة واجتهاد المجتهد.

وطريقة المؤلفين عن أصل المفردة على نوعين:

الأول: التصريح بالأصل: وهو قولهم: وأصله كذا وكذا.

الثاني: الكناية الدالة على الأصل: كقولهم: «مأخوذ من كذا وكذا»، و«حقيقته كذا وكذا»، و«من قولهم: كذا كذا».

وقد أقف على تأصيل لمتقدم أو كناية له صرح بها متأخر، وقد حاولت أن أتبصر بأهل العلم والسابقة قبل جريان المداد بما أجده مقارباً بعد النظر في القواميس المتقدمة وكتب الغريب وكتب المعاني وأهل العناية من المفسرين، فأجمع وأقارن وأُوازن وأجتهد في مقاربة ما أكتب ليكون خليقاً بالإفادة، ثم أعرج على المعنى المراد بالتفسير من اللفظ المذكور، غير متقيد بترتيب دقيق نظراً لاختلاف المواضع وتغير الأفكار فيها فأرتب حسب ما أراه مناسباً.

ثانياً: قسم الدراسة

أصل المفردة القرآنية عند ابن قتيبة

من خلال كتابه «غريب القرآن»

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال ابن قتيبة: «قوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، هو من استيفاء العدد واستيفاء الشيء إذا استقصيته كله. يقال: توفيته واستوفيته. كما يقال: تيقَّنت الخبر واسْتَيْقَنْتُه، وتثبَّت في الأمر واسْتَثْبَتُه. وهذا هو الأصل. ثم قيل للموت: وفاة وتوف»[1].

اتفق رأي ابن فارس مع ابن قتيبة في أن أصل التوفي هو الاستيفاء والاستقصاء على سبيل الإتمام والكمال. قال ابن فارس: «الْوَاوُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ. مِنْهُ الْوَفَاءُ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ. وَوَفَى: أَوْفَى، فَهُوَ وَفِيٌّ. وَيَقُولُونَ: أَوْفَيْتُكَ الشَّيْءَ، إِذَا قَضَيْتَهُ إِيَّاهُ وَافِياً. وَتَوَفَّيْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَوْفَيْتُهُ؛ [إِذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ] حَتَّى لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً. وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْمَيِّتِ: تَوَفَّاهُ اللَّهُ[2]، وهو بهذا المعنى في كتاب الله».

قال الراغب في تبيين هذا الأصل في كتاب الله، وكيف تعود إليه ألفاظ الكتاب العزيز: «وفى الوَافِي: الذي بلغ التّمام. يقال: درهم وافٍ، وكيل وافٍ، وأَوْفَيْتُ الكيلَ والوزنَ. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ [الإسراء: ٣٥]، وَفَى بعهده يَفِي وَفَاءً، وأَوْفَى: إذا تمّم العهد ولم ينقض حفظه، وتَوْفِيَةُ الشيءِ: بذله وَافِياً، واسْتِيفَاؤُهُ: تناوله وَافِياً. قال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقد عبّر عن الموت والنوم بالتَّوَفِّي،

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤).
(٢) مقاييس اللغة (٦/١٢٩).

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢][1]، وممن نص على ذلك الأصل موافقاً لهما الطاهر ابن عاشور: «﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ظاهر معناه: إني مميتك، هذا هو معنى هذا الفعل في مواقع استعماله؛ لأن أصل فعل توفى الشيء أنه قبضه تاماً واستوفاه. فيقال: توفاه الله؛ أي قدر موته، ويقال: توفَّاه ملك الموت؛ أي أنفذ إرادة الله بموته، ويطلق التوفي على النوم مجازاً بعلاقة المشابهة»[2].

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠].

قال ابن قتيبة: و(الإفْكُ) الكذب؛ لأنه كلام قُلِبَ عن الحق. وأصله من أفكْتُ الرجلَ إذا صرفته عن رأي كان عليه. ومنه قيل لمدائن قوم لوط: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٠]؛ لانقلابها. ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤]؛ أي: من أين تحرمون وتُصْرفون عن الحق. قال الشاعر:

إنْ تَكُ عَنْ أَحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مَأْ ... فُوكاً فَفِي آخَرِين قَدْ أُفِكُوا[3]

وافق ابنُ فارس ابنَ قتيبة في أن أصل (أفك) من قَلْبِ الشيء عن وجهه وصَرْفِه عنه. قال ابن فارس: «(أَفَكَ) الْهَمْزَةُ وَالْفَاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشَّيْءِ وَصَرْفِهِ عَنْ جِهَتِهِ. يُقَالُ: أُفِكَ الشَّيْءُ. وَأَفِكَ الرَّجُلُ: إِذَا كَذَبَ. وَالْإِفْكُ الْكَذِبُ. وَأَفَكْتُ الرَّجُلَ عَنِ الشَّيْءِ: إِذَا صَرَفْتُهُ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]»[4].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٨٧٨).
(٢) التحرير والتنوير (٣/٢٥٨).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٠)، والبيت لعروة بن أذينة، كما في اللسان (١٢/٢٧٠)، والصحاح (٤/١٥٧٣).
(٤) مقاييس اللغة (١/١١٨).

وصرَّح بهذا كذلك الراغب وعرض لتصريفات الكلمة في كتاب الله، فقال: «الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهابّ: مُؤْتَفِكة. قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ [الحاقة: ٩]. وقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]؛ أي: يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح. وقوله تعالى: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، فاستعملوا الإفك في ذلك لمّا اعتقدوا أنّ ذلك صرف من الحق إلى الباطل، فاستعمل ذلك في الكذب لما قلنا»[1].

وألمح إلى الأصل الفراء: «يريد: يُصرف عَنِ القرآن والإيمان، مَنْ صُرِفَ، كما قال: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ يَقُولُ: لتصرفَنا عنْ آلهتنا، وتصُدَّنا»[2].

ومثله ابن جرير الطبري: «يقول: يُصرف عن الإيمان بهذا القرآن، مَنْ صُرِفَ، ويُدْفَعُ عنه من يُدْفَعُ، فيُحْرَمُه»[3].

وجمع الأصل في عرف القرآن فأجاد ابن عطية حيث قال: «عرف الاستعمال في «أفك»، إنما هو في الصرف من خير إلى شر، وتأمل ذلك تجدها أبداً في المصروفين المذمومين»[4].

***

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ من الفلاح؛ وأصله البقاء. ومنه قول عَبِيدٍ:

أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضْـ ... ـضَعْفِ وَقَدْ يُخْدَعُ الأَرِيبُ

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٧٩).
(٢) معاني القرآن للفراء (٣/٨٣).
(٣) جامع البيان (٢٢/٣٩٨).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/١٧٣).

أي: ابق بما شئت من كَيْس أو غفلة. فكأنه قيل للمؤمنين: مفلحون؛ لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم. هذا هو الأصل(١).

نص ابن قتيبة على أن أصل الفلاح هاهنا (البقاء)، وقد ألمح إلى هذا الأصل قبله أبو عبيدة، فقال: «كل من أصاب شيئاً من الخير فهو مفلح، ومصدره الفلاح وهو البقاء، وكل خير»(٢)، وتبعهما في ذلك النحاس فقال: «أي لتكونوا على رجاء من الفلاح وأصل الفلاح البقاء والخلود»(٣).

وأما ابن فارس فقال: «(فَلَحَ) الفَاءُ واللَّامُ والْحَاءُ أَصْلانِ صحِيحَانِ، أَحدُهُما يَدُلُّ عَلَى شَقٍّ، وَالآخَرُ عَلى فَوْزٍ وبَقَاءٍ»(٤).

فهو بهذا يوافق مَنْ تقدَّمه بأحد شِقَّي الأصل اللغوي هنا. وقال الراغب مضمناً الأصل (البقاء) جميع إطلاقات الفلاح في الدنيا والآخرة: «فلح الفَلْحُ: الشقّ، وقيل: الحديد بالحديد يُفْلَحُ، أي: يشقّ. والفَلَّاحُ: الأكّار لذلك، والفَلَاحُ: الظَّفَرُ وإدراك بغية، وذلك ضربان: دنيويّ وأخرويّ، فالدّنيويّ: الظّفر بالسّعادات التي تطيب بها حياة الدّنيا، وهو البقاء والغنى والعزّ، وفَلاحٌ أخرويّ، وذلك أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزّ بلا ذلّ، وعلم بلا جهل. ولذلك قيل: «لا عيش إلّا عيش الآخرة»، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]»(٥).

* * *

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٩).
(٢) مجاز القرآن (١/٣٠).
(٣) معاني القرآن للنحاس (١/٥٣١).
(٤) مقاييس اللغة (٤/٤٥٠).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص٦٤٤).

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ابن قتيبة: «وإنما جعل الحيض قُرْءاً والطهر قُرْءاً؛ لأن أصل القُرْء في كلام العرب: الوقت. يقال: رجع فلان لقرئه؛ أي لوقته الذي كان يرجع فيه»[(١)].

تبع ابنَ قتيبة السمينُ الحلبي في أن أصل القرء الوقت، فقال: «القَرْءُ في اللغةِ قيل: أصلُه الوقتُ المعتادُ تردُّدُه، ومنه: قَرْءُ النجمِ لوقتِ طلوعِه وأُفولِه»[(٢)].

وذكر مكي بن أبي طالب وابن عطية: «القرء في اللغة: الوقت، فيصلح للطهر، ويصلح للحيض»[(٣)].

وأما الراغب فلم يعرض لمعنى (الوقت)، ولكنه فصَّل تفصيلاً بديعاً في اجتماع المعنيين مع اختلاف وقت وقوع كل منهما لوحده، وذكر نظيراً لهذا فقال: «قرأ قَرَأَتِ المرأة: رأت الدّم، وأَقْرَأَتْ: صارت ذات قُرْءٍ، وقَرَأْتُ الجارية: استبرأتها بالقرء. والقُرْءُ في الحقيقة: اسم للدّخول في الحيض عن طهر. ولمّا كان اسماً جامعاً للأمرين الطّهر والحيض المتعقّب له أطلق على كلّ واحد منهما؛ لأنّ كلّ اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كلّ واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة: للخوان وللطّعام، ثم قد يسمّى كلّ واحد منهما بانفراده به. وليس القُرْءُ اسماً للطّهر مجرّداً، ولا للحيض مجرّداً، بدلالة أنّ الطّاهر التي لم تر أثر الدّم لا يقال لها: ذات قرء. وكذا الحائض التي استمرّ بها الدّم والنّفساء لا يقال لها ذلك»[(٤)].

وجعل الأصل (الجمع) ابن فارس، معلّلاً أن المرأة كأنها أمسكت دم الحيضة في حال طهرها، فقال: «قرى الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٨٧).
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢/٤٣٩).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٧٥٨)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٣٠٤).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٦٦٨).

وَاجْتِمَاعٍ. مِنْ ذَلِكَ الْقَرْيَةُ، سُمِّيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا... وَالْقُرْءُ: وَقْتٌ، يَكُونُ لِلطُّهْرِ مَرَّةً وَلِلْحَيْضِ مَرَّةً. وَيَقُولُونَ: هَبَّتِ الرِّيَاحُ لِقَارِئِهَا»، فهو بهذا جعل الوقت معنى مشهوراً، وأبعد به عن الأصل(١).

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

قال ابن قتيبة: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ أي: جماعات كثيرة. ويقال: الألوف. وأصله من الرِّبَّة، وهي الجماعة. يقال للجمع: رِبِّي كأنه نسب إلى الربَّة. ثم يجمع رِبِّي بالواو والنون. فيقال: رِبِّيُّون(٢).

سبق أبو عبيدة ابن قتيبة إلى أن أصل «ربيون» من الربة وهي الجماعة، فقال أبو عبيدة: «الرّبّيّون: الجماعة الكثيرة، والواحد منها ربّي»(٣).

وقال النحاس: « معروف أن الربَّة الجماعة فهم منسوبون إلى الربة»(٤)، وتبعه ابن عطية(٥).

وقال الطاهر: «و(الربيون) جمع ربي، وهو المتبع لشريعة الرب مثل الرباني، والمراد بهم هنا أتباع الرسل وتلامذة الأنبياء. ويجوز في رائه الفتح، على القياس، والكسر، على أنه من تغييرات النسب وهو الذي قُرِئ به في المتواتر، ومحل العبرة هو ثبات الربانيين على الدين مع موت أنبيائهم ودعاتهم»(٦).

❊ ❊ ❊

(١) مقاييس اللغة (٥/٧٨).
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١١٣).
(٣) مجاز القرآن (١/١٠٤).
(٤) معاني القرآن للنحاس (١/٤٩٠).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٥٢١).
(٦) التحرير والتنوير (٤/١١٨).

قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤].

قال ابن قتيبة: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾؛ أي: غير زناة. والسفاح: الزنا. وأصله من سَفَحْت القربة إذا صببتها. فسمي الزنىٰ سفاحاً. كما يسمى مِذاءً؛ لأنه يسافح يصب النطفة وتصب المرأة النطفة ويأتي بالمَذْي وتأتي المرأة بالمَذْي، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد أن يفجر بالمرأة قال لها: سافحيني أو ماذيني. ويكون أيضاً من صبِّ الماء عليه وعليها[(١)].

نص على أصل هذه المفردة القرآنية (السفاح) من بعد ابن قتيبة الزجاج، فقال: «وأَصلُ ذلك من الصَّبِّ. تَقول: سافَحْتُه مُسافَحةً وسِفاحاً، وَهُوَ أَن تُقِيمَ امرأَةٌ مَعَ رَجُلٍ على الفُجُورِ من غير تَزْوِيجٍ صَحِيحٍ»[(٢)].

ونص عليه مختصراً النحاس[(٣)]، والكرمانيُّ إذ قال: «أي زوانيَ علانية، وأصله من سفح الماء باطلاً»[(٤)]. وألمح إليه ابن عطية فقال: «والسفاح: الزنىٰ، وهو مأخوذ من سفح الماء؛ أي صبه وسيلانه، ولزم هذا الاسم الزنىٰ»[(٥)].

وتبعه بلفظ نحوه القرطبي[(٦)]، ومع اتفاقه في تفسير الآية مع ابن قتيبة، إلا أن الطاهر بن عاشور ذهب بالمعنى الأوسع والاشتقاق إلى مزيد على ما ذكره ابن قتيبة فجعله الصب من غير قيد ولا ضبط ولا حد، بل هو ذهاب المصبوب كل مذهب: «غير مسافحين» حال ثانية، والمسافح الزاني؛ لأن الزنى يسمى السفاح، مشتقاً من

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٢٣).
(٢) نقله عنه الزبيدي في تاج العروس (٦/٤٧٦).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٢/٥٨).
(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٢٩٢).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٣٦).
(٦) تفسير القرطبي (٥/١٢٧).

السفح، وهو أن يهراق الماء دون حبس، يقال: سفح الماء. وذلك أن الرجل والمرأة يبذل كل منهما للآخر ما رامه منه دون قيد ولا رضا ولي، فكأنهم اشتقوه من معنى البذل بلا تقيد بأمر معروف؛ لأن المعطاء يطلق عليه السفاح.

وكان الرجل إذا أراد من المرأة الفاحشةَ يقول لها: سافحيني، فرجع معنى السفاح إلى التباذل وإطلاق العنان، وقيل: لأنه بلا عقد، فكأنه سفح سفحاً؛ أي صباً لا يحجبه شيء، وغير هذا في اشتقاقه لا يصح؛ لأنه لا يختص بالزنى»[1]، فتراه ذهب بالمعنى إلى معنى بعيد عن المحسوسات. وقال ابن دريد: «والمسافحة: أَن يتسافح الرِّجَال وَالنِّسَاء مَاءَهُمْ فَيذْهب ضياعاً وَبِه سمي السفاح»[2]، فلعل الطاهر اقتنص تلك الإضافة من قول ابن دريد (ضياعاً)، وربما يكون ابن فارس أفاد من ابن دريد، فقد تكرر عنده نفس تعبير ابن دريد: «(سَفَحَ) السِّينُ وَالْفَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِرَاقَةِ شَيْءٍ. يُقَالُ: سَفَحَ الدَّمَ، إِذَا صَبَّهُ. وَسَفَحَ الدَّمَ: هَرَاقَهُ. وَالسِّفَاحُ: صَبُّ الْمَاءِ بِلَا عَقْدِ نِكَاحٍ، فَهُوَ كَالشَّيْءِ يُسْفَحُ ضَيَاعاً»[3]، وتجدر الإشارة إلى إهمال الراغب لمعنى السفاح في المفردات.

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

قال ابن قتيبة: (المُراغَمُ) و(المُهاجَرُ) واحد. تقول: راغمت وهاجرت قومي، وأصله: أن الرجلَ كان إذا أسلم خرج عن قومه مُراغِماً لهم؛ أي مُغاضِباً، ومهاجراً؛ أي مقاطعاً من الهجران. فقيل للمذهب: مراغم، وللمصير إلى النبي ﷺ: هجرة؛ لأنها كانت بهجرة الرجل قومه[4].

(١) التحرير والتنوير (٨/٥).
(٢) جمهرة اللغة (٥٣٢/١).
(٣) مقاييس اللغة (٨١/٣).
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٣٤).

صرح القتبي هنا أن أصل المراغم هو المذهب، والمُضطَرَب، والذهاب على سبيل الغضب والمقاطعة والهجران، ووافقه الكثيرون على هذا المعنى من غير تصريح بأنه أصل المراغم، ويمكننا القول أن الأصل هنا في مراد ابن قتيبة السبب والمبعث على وقوع المراغمة.

قال الفراء: «مراغمة مصدران. فالمراغم: المضطرب والمذهب في الأرض»[1]، فترى الفراء أشار إلى مصدرين وجلاهما ابن فارس فقال: «(رَغَمَ) الرَّاءُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا التُّرَابُ، وَالْآخَرُ الْمَذْهَبُ. فَالْأَوَّلُ الرَّغَامُ، وَهُوَ التُّرَابُ. وَمِنْهُ «أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ» أَيْ أَلْصَقَهُ بِالرَّغَامِ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْمُرَاغَمُ، وَهُوَ الْمَذْهَبُ وَالْمَهْرَبُ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ [النساء: ١٠٠]»[2].

وردَّ الأصلين إلى معنى واحد متسق مع معنى الآية الراغب فقال: «رغم الرَّغَام: التّراب الدّقيق، ورَغِمَ أنف فلانٍ رَغْماً: وقع في الرّغام، وأَرْغَمَهُ غيره، ويعبّر بذلك عن السّخط، كقول الشاعر:

إذا رَغِمَتْ تلك الأنوف لم أُرضِها ولم أَطْلُب العُتْبى ولكن أزيده[3]

فمقابلته بالإرضاء ممّا ينبّه دلالته على الإسخاط. وعلى هذا قيل: أَرْغَمَ الله أنفه، وأَرْغَمَهُ: أسخطه، وراغَمَهُ: ساخطه، وتجاهدا على أن يُرْغِمَ أحدهما الآخر، ثمَّ تستعار الْمُرَاغَمَةُ للمنازعة. قال الله تعالى: ﴿يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٠٠]؛ أي: مذهباً يذهب إليه إذا رأى منكراً يلزمه أن يغضب منه، كقولك: غضبت إلى فلان من كذا، ورَغِمْتُ إليه».

وزاد الطاهر بياناً في صهر الأصلين بمقصود واحد مرتبط، فقال: «والمراغم اسم مكان من راغم إذا ذهب في الأرض، وفعل راغم مشتق من الرغام -بفتح الراء- وهو

(١) معاني القرآن للفراء (١/٢٨٤).
(٢) مقاييس اللغة (٢/٤١٣).
(٣) البيت في محاضرات الراغب (١/٣١٥) دون نسبة.

التراب. أو هو مِنْ راغَمَ غيره إذا غلبه وقهره، ولعل أصله أنه أبقاه على الرغام، أي التراب، أي يجد مكاناً يرغم فيه من أرغمه، أي يغلب فيه قومه باستقلاله عنهم كما أرغموه بإكراهه على الكفر»(١).

ولما كان الأصلان هما التراب والذهاب في الأرض، فالعلاقة الأصلية للتراب من حيث هي الرغام، ثم يتفرع على هذا معان مشهورة استعملت بسبب علاقتها بالتراب ومنها المذهب في الأرض؛ لأن أصله في الحقيقة متصور فيه أن من ذهب في الأرض غاضباً: إما لأنه ألصق وجهه بالرغام حقيقة أو مجازاً بما يتصل بكرامة الإنسان، وبهذا يتضح مراد ابن قتيبة، وترجع أصول ابن فارس لأصل واحد، وهو أصل (رغم) من ارتجال العرب لهذه الكلمة على التراب قبل نقلهم لها لمعان أخرى.

وأما كون المراغمة تشابه الهجرة في المعنى، فهذا درج عليه أهل التفسير ومنهم الزجاج، فقال: «عنى مراغم معنى مهاجرُ، المعنى يجد في الأرض مُهاجراً؛ لأن المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة، وإن اختلف اللفظان»(٢).

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

قال ابن قتيبة: ﴿جَٰثِمِينَ﴾ الأصل في الجُثوم للطير والأرنب وما يَجْثُم. والجُثوم البروك على الركب(٣).

إطلاق ابن قتيبة للأصل هنا بين أنه يريد الأصل الزمني في أول إطلاق للكلمة وليس يريد أصلاً مرتبطاً باشتقاق الكلمة لغوياً سواء من الدلالة المحورية أو السببية أو غيرها.

(١) التحرير والتنوير (١٨٠/٥).
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩٦/٢).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٦٩).

فأصل الجثوم للطير والأرنب ثم استعير لغيرها؛ وكثير من تبع ابن قتيبة في هذا. قال مكي بن أبي طالب: «﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]؛ أي: ساقطين على رُكَبِهِمْ. وأصل الجُثُومِ للأرنب والطير وشبهه، وهو البروك على الركب»(١).

وأما معنى الآية ففصَّله الطاهر بقوله: «والجاثم: المكب على صدره في الأرض مع قبض ساقيه كما يجثو الأرنب، ولما كان ذلك أشد سكوناً وانقطاعاً عن اضطراب الأعضاء استعمل في الآية كناية عن همود الجثة بالموت، ويجوز أن يكون المراد تشبيه حالة وقوعهم على وجوههم حين صعقوا بحالة الجاثم تفظيعاً لهيئة ميتتهم»(٢).

ومما يذكر هنا على سبيل التنبيه ذلك القول الغريب الذي ذكره الفراء: ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ يقول: «رماداً جاثماً»(٣). وطفقت ألتمس تفسيراً وتفصيلًا لإمام المفسرين أبي جعفر، فوجدت كلامه مقتضباً في معنى هذه اللفظة، ولم يقف موقف عامة المفسرين من حيث أصل الإطلاق ولا كيفية التصور لهم حال العقوبة جاثمين، فكان قوله مختصراً بإفادة العقوبة والموت، أو أن المنون جثمتهم فألقت جثامينهم على بعض(٤).

وممن أبان عن قول الفراء ومراده منه القاضي أبو محمد بن عطية فقال: «وقال بعض المفسرين معناه حُمَماً محترقين كالرماد الجاثم. قال القاضي أبو محمد: وحيث وجد الرماد الجاثم في شعر فإنما هو مستعار لهيئة الرماد قبل هموده وتفرقه، وذهب صاحب هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة»(٥).

❊❊❊

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢٤٣٥/٤). وانظر: التفسير البسيط (٢١٥/٩)، تفسير القرطبي (٢٤٢/٧) وغيرهم، ولم يذكر ابن فارس ولا الراغب أمراً ذا بال مما نحن بصدده.

(٢) التحرير والتنوير (٢٢٧/٨).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣٨٤/١).

(٤) جامع البيان (٣٨٠/١٥)، (٣٤/٢٠).

(٥) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٢٤/٢).

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].

قال ابن قتيبة: (الْوَلِيجَةُ): البِطَانة من غير المسلمين، وأصله من الولوج. وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطاً ووُدّاً[١].

نص على أن أصل الوليجة من الولوج الذي هو الدخول، كثيرون بين يدي ابن قتيبة ومن خلفه. وممن أحاط بالمعنى من جميع أطرافه وجعل له ضابطاً راسخاً أبو عبيدة، إذ قال: «كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون فى القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، ومجازه يقول: فلا تتخذوا وليّاً ليس من المسلمين دون الله ورسوله»[٢].

وألمح إلى الأصل كما ذكره ابن قتيبة الزجاج، فقال: «والوَليجة: البِطَانَة، وهي مأخوذة مِنْ وَلَجَ الشيء يلِجُ إذا دَخَلَ»[٣]، ونحوه كثير من المفسرين بهذا السياق[٤]؛ وكذلك ابن فارس في نصه على الأصل فقال: «وَلَجَ الْوَاوُ وَاللَّامُ وَالْجِيمُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى دُخُولِ شَيْءٍ. يُقَالُ وَلَجَ فِي مَنْزِلِهِ وَوَلَجَ الْبَيْتَ يَلِجُ وُلُوجاً. وَالْوَلِيجَةُ: الْبِطَانَةُ وَالدُّخَلَاءُ. [وَ] يُقَالُ: رَجُلٌ خُرَجَةٌ وُلَجَةٌ: كَثِيرُ الْخُرُوجِ وَالْوُلُوجِ. وَالْوَلَجَةُ: وَجَعٌ يَلِجُ جَوْفَ الْإِنْسَانِ»[٥].

وكأن ابن فارس هاهنا توسع في الأصل اللغوي وهو أضيق من مجرد الدخول، وحيث تتأمل أمثلته تجد ضابط أبي عبيدة منطبقاً عليها كلها.

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٨٣).
(٢) مجاز القرآن (١/٢٥٤).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٤٣٧).
(٤) تفسير القرطبي (٨/٨٨).
(٥) مقاييس اللغة (٦/١٤٢).

وأما الراغب في المفردات، فإنه قال: «ولج الوُلُوجُ: الدّخول في مضيق. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١]، فتنبيهٌ على ما ركّب الله عَزَّوَجَلَّ عليه العالَم من زيادة الليل في النهار، وزيادة النهار في الليل؛ وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها. والوَلِيجَةُ: كلّ ما يتّخذه الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله، من قولهم: فلان وَلِيجَةٌ في القوم: إذا لحق بهم وليس منهم، إنساناً كان أو غيره. قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة: ١٦]، وذلك مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]»[١]. فهو وإن تكلم على موضع الآيةِ - محلّ بحثنا - بما يبين عن تفسيرها وبما يتوافق مع اشتقاقها، إلا أن قوله: الولوج: الدخول في مضيق أقرب من توسع ابن فارس، فهو ضيق دائرة أصل الكلمة، ولكنها بقيت حبيسة لسياق آية الأعراف، وأما آية الحج وآية التوبة فأليق بهما ضابط أبي عبيدة، وهو دخول شيء في شيء ليس منه؛ ولذلك تجد عبارة التفسير التي جرت من مداد الطاهر بن عاشور أعمق وأشد تضييقاً وتحديداً لمعنى الولوج، حتى إنه أخرج القارئ من مجرد (دخول شيء في شيء ليس منه) إلى (الإدخال مع التعمية بحيث لا يظهر الدخيل): «و(الوليجة) فعيلة بمعنى مفعولة؛ أي: الدخيلة، وهي الفعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنه يولجها؛ أي: يدخلها في مكمن بحيث لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء العدو بالمسلمين، وما يشمل اتخاذ أولياء من أعداء الإسلام يخلص إليهم ويفضي إليهم بسِرّ المسلمين؛ لأن تنكير (وليجة) في سياق النفي يعم سائر أفرادها»[٢].

***

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٨٨٢).
(٢) التحرير والتنوير (١٠/١٣٩).

قال ابن قتيبة: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾؛ أي: طعاماً. يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا. وقد بينت أصل هذا في كتاب «المشكل». ومن قرأ «مُتْكاً» فإنه يريد الأتْرُجّ. ويقال: الزُّمَاوَرْد[1]. وَأيّاً مّا كان فإني لا أحسبه سُميّ مُتَّكَأً إلا بالقطع؛ كأنّه مأخوذ من البَتْك.

ذكر ابن قتيبة هذه اللفظة وعلق عليها في ثلاثة مواضع من كتابه «المشكل» وهي:

الأول: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾[2] [يوسف: ٣١]، وقرأ الناس: «وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكاً».

الثاني: «وقوله: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ [يوسف: ٣١] وهو الطعام، و«أعتدت لهن مُتّكا» وهو الأترج، ويقال: الزّماورد، فدلّت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام»[3].

الثالث: «ومنه قوله سبحانه: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ [يوسف: ٣١] أي طعاماً، يقال: اتّكأنا عند فلان، أي طعمنا. وقال جميل:

فظللنا بنعمة واتّكأنا ... وشربنا الحلال من قُلَلِه

والأصل: أن من دعوته ليطعم أعددت له التكأة للمقام والطمأنينة، فسمّي الطعام مُتَّكأً على الاستعارة»[4].

ولا شك أنه يريد بإحالته تلك الموضع الثالث؛ إذ ذكر أصل المتكأ باعتبار قراءة من القراءات لهذه الكلمة.

وقرئت هذه الكلمة أكثر من قراءة: فقرأ أبو جعفر «متكا» بتنوين الكاف وحذف الهمزة بوزن متقى، خفف بترك الهمزة كقولهم: توضيت في توضأت، وعن المطوعي «مُتْكأ» بسكون التاء وبالهمز، وعن الحسن بالتشديد والمد قبل الهمز؛ أشبَعَ الفتحة فتولد منها ألف، والباقون بتشديد التاء والهمز مع القصر[5].

---

(١) الزُّمَاوَرْد: طعَام من البَيض واللَّحم والرقاق الملفوف باللَّحْمِ والحلوى. ينظر: المعجم الوسيط (٤٠١/١).
(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٢٤).
(٣) تأويل مشكل القرآن (ص٣٣).
(٤) تأويل مشكل القرآن (ص١١٥).
(٥) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٣٣١).

وقال أبو الفتح بن جني: «ومن ذلك قراءة الزهري وأبي جعفر وشيبة «مُتّكًا»، مشدد من غير همز، وقرأ: «مُتْكًا» ساكنة التاء غير مهموز ابن عباس، وابن عمر، والجحدري، وقتادة، والضحاك، والكلبي، وأبان بن تغلب، ورُويت عن الأعمش. وقرأ: «مُتَّكَاءً» بزيادةِ ألفِ الحسن. وقراءة الناس: «مُتَّكَأً» في وزن مُفْتَعَل»(١).

وهذا الأصل الذي ذكره ابن قتيبة، فإنه يريد منه أن تهيئة المكان مرتبط بالطعام من جهة اللزوم؛ ولهذا نقل المفسرون قول ابن قتيبة من كتابه «الغريب»: «وقال القتبي: يقال: اتكأنا عند فلان، أي: أكلنا»(٢).

ومن تأمل كلام ابن قتيبة من حيث أحال عليه هو في كتاب «المشكل»، فإنه يصل مطمئناً إلى قَصْده، إذ أراد: أن من دعا غيره للطعام، فمن لوازم تلك الدعوة العناية بمكانها، من حيث الفرش، والنمارق، وغيرها، مما يزيد في راحة الضيف وإكرامه، واتكائه، من خلال تلك الجلسة المقصودة.

وعلى معنى المتكأ أنه مكان الجلوس عامة المفسرين. قال أبو جعفر الطبري: «يعني: مجلساً للطعام، وما يتكئ عليه من النمارق والوَسائد، وهو «مفتعل» من قول القائل: «اتَّكأت»، يقال: «ألق له مُتَّكأ»، يعني: ما يتكئ عليه»(٣). وقال الزجاج: «(مُتَّكَأً) ما يُتكأ عليه لطعام أو شَرَاب أو حديث»(٤).

وأما الراغب فقال: «تكأ المُتَّكأ: المكان الذي يتكأ عليه، والمخدّة: المتكأ عليها، وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ [يوسف:٣١]، أي: أترجاً، وقيل: طعاماً متناولاً، من قولك: اتكأ على كذا فأكله. قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾ [طه:١٨]، ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ [الطور:٢٠]، ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:٥٦]، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ [الواقعة:١٦]»(٥).

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/٣٣٩).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٢٣٨)، تفسير القرطبي (٩/١٧٩).

(٣) جامع البيان (١٦/٦٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٠٥).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص١٦٧).

وبَيَّن السمين الحلبي أن معنى الأترج يَتَّسِق مع قراءة «مُتْكًا»، فهو غير مراد هنا[1].

وأما قول الراغب: اتكأ على كذا فأكله، فغريب، ربط الاتكاء بالطعام، وإن صح لغة فهو قليل، والمعنى المشهور من اللغة والذي أورده المفسرون وأهل المعاني والغريب: أن الاتكاء مرتبط بالمكان الذي يرخي عليه الجالس متنه.

وفي تصوير حالة الاتكاء كما هي في السياق، يقول الطاهر: «والمتكأ: محل الاتكاء. والاتكاء: جلسة قريبة من الاضطجاع على الجنب، مع انتصاب قليل في النصب الأعلى. وإنما يكون الاتكاء إذا أريد إطالة المكث والاستراحة، أي: أحضرت لهن نمارق يتكئن عليها لتناول طعام. وكان أهل الترف يأكلون متكئين كما كانت عادة للرومان، ولم تزل أسِرَّة اتكائهم موجودة في ديار الآثار»[2].

وأشار ابن فارس إلى معنى الاشتداد بالموتكأ، فقال: «(وَكَا) الْوَاوُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى شَدِّ شَيْءٍ وَشِدَّةٍ. مِنْهُ الْوِكَاءُ: الَّذِي يُشَدُّ بِهِ... وَمِنَ الْبَابِ تَوَكَّأْتُ عَلَى كَذَا، أَيِ: اتَّكَأْتُ؛ لِأَنَّهُ يَتَشَدَّدُ بِهِ وَيَتَقَوَّى بِهِ. وَأَوْكَأْتُ فُلَانًا إِيكَاءً: نَصَبْتُ لَهُ مُتَّكَأً»[3].

ومما تحسن إليه الإشارة إضافة إلى معنى الاستعارة التي ذكرها ابن قتيبة، وعلى معنى الترف الذي أشار إليه الطاهر، فإنه في الغالب أن الجلسات الطويلة المعقودة للأنس والمسامرة التي لم تعقد لأمر ذي بال؛ فإنها تتسم بالطول والمنادمة، والتفنن بما تستلذه النفوس من كلام، وطعام، وشراب، ولا شك أن راحة المكان والاسترخاء فيه جزء من هذا التفكُّه الواقع بين النفوس.

***

---

(١) عمدة الحفاظ (٣٠٥/١).
(٢) التحرير والتنوير (٢٦٢/١٢).
(٣) مقاييس اللغة (١٣٧/٦).

قال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

قال ابن قتيبة: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾؛ أي: أظهر ذلك. وأصله الفَرْق والفتحُ. يريد: اصدع الباطلَ بحقِّك[1].

في هذا الموضع نص ابن قتيبة على الدلالة المحورية للصدع وهي الفتح والتفريق، ولا يكاد يُختلف عليه في هذا. قال أبو عبيدة: «أي افرق وامضه»[2]، وهو بنص أبي عبيدة عند الطبري[3]، ولم يبتعد الزجاج عن هذا الأصل، بل فسره بنتيجته فقال: «وتأويل الصَّدْع في الزُّجاج، أو في الحائط، أن يبين بعضُ الشيء عن بَعْض»[4]، وجمع بين الأصل والمعنى المراد ابن عطية، فقال: «فَاصْدَعْ معناه فانفذ وصرح بما بعثت به، والصدع التفريق بين ملتئم كصدع الزجاجة ونحوه، فكأن المصرح بقول يرجع إليه، يصدع به ما سواه مما يضاده، والصديع الصبح لأنه يصدع الليل»[5].

وصرح بالأصل القرطبي، فقال: «وَالصَّدْعُ: الشَّقُّ. وَتَصَدَّعَ الْقَوْمُ أَيْ تَفَرَّقُوا، وَمِنْهُ ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]؛ أَيْ يَتَفَرَّقُونَ. وَصَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ أَيِ انْشَقَّ. أَصْلُ الصَّدْعِ الْفَرْقُ وَالشَّقُّ»[6]، وكذلك الراغب إذ قال: «صدع الصَّدْعُ: الشّقّ في الأجسام الصّلبة كالزّجاج والحديد ونحوهما. يقال: صَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ، وصَدَّعْتُهُ فَتَصَدَّعَ، قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، وعنه استعير: صَدَعَ الأمرَ، أي: فَصَلَهُ، قال: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]».

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤٠).
(٢) مجاز القرآن (٣٥٥/١).
(٣) جامع البيان (١٥١/١٧).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٨٧/٣).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٧٥/٣).
(٦) تفسير القرطبي (٦١/١٠).

ولم يبتعد ابن فارس عن ذلك الأصل الذي اتفقوا عليه، فقال: «(صَدَعَ) الصَّادُ وَالدَّالُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْفِرَاجٍ فِي الشَّيْءِ. يُقَالُ: صَدَعْتُهُ فَانْصَدَعَ وَتَصَدَّعَ. وَصَدَعْتُ الْفَلَاةَ: قَطَعْتُهَا. وَدَلِيلٌ هَادٍ مِصْدَعٌ. وَالصَّدْعُ: النَّبَاتُ؛ لِأَنَّهُ يَصْدَعُ الْأَرْضَ، [فِي] قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: ١٢]. وَمِنَ الْبَابِ: صَدَعَ بِالْحَقِّ، إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ جِهاراً. قَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. وَيُقَالُ: تَصَدَّعَ الْقَوْمُ، إِذَا تَفَرَّقُوا»(١).

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

قال ابن قتيبة: «﴿أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]؛ أي أكثر عدداً. وأصله: مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل من عشيرته وأهل بيته. والنَّفِيرُ والنَّافرُ واحد. كما يقال: قَدِير وقَادِر»(٢).

لا شك أن مراد أبي محمد من الأصل أنه الأصل الزمني والتاريخي من جهة أول إطلاقه قبل أن ينقل لغيره ويتوسع فيه، وليس يريد الأصل المحوري الذي تعود إليه الكلمة في جميع اشتقاقاتها في الاستعمال العربي. وممن نص على هذا الأصل بهذا الاعتبار أبو جعفر النحاس، فقال: «يجوز أن يكون ﴿نَفِيرًا﴾ بمعنى نافِر مثل قدير وقادر، ويجوز أن يكون جمع نفر مثل عبيد وكليب ومعيز، وأصله مَن ينفر مع الرجل من عشيرته وأصحابه»(٣)، وتبعه كذلك القرطبي، والطاهر بن عاشور(٤)، والجميع متفق على أن معنى الآية: أكثر عدداً.

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٣٧).
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥١).
(٣) معاني القرآن للنحاس (٤/١٢٤).
(٤) تفسير القرطبي (١٠/٢١٧)، التحرير والتنوير (١٥/٣٣).

وأما الدلالة المحورية فقد قال ابن السكيت: «والنَّفْر: التفرق»(١). وقال ابن فارس: «نَفَرَ النُّونُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَجَافٍ وَتَبَاعُدٍ. وَالنَّفَرُ أَيْضاً مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ لِأَنَّهُمْ يَنْفِرُونَ لِلنُّصْرَةِ»(٢).

وقال الراغب مشيراً إلى موضع هذا الجذر من كتاب الله مع معانيها: «نفر النَّفْرُ: الانْزِعَاجُ عن الشيءِ وإلى الشيء، كالفَزَعِ إلى الشيء وعن الشيء. يقال: نَفَرَ عن الشيء نُفُوراً. قال تعالى: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، ونَفَرَ إلى الحربِ يَنْفُرُ ويَنْفِرُ نَفْراً، ومنه: يَوْمُ النَّفْرِ. قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩]، ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]»(٣).

***

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨].

قال ابن قتيبة: و(الْوَصِيدُ) الفِناء. ويقال: عتبة الباب. وهذا أعجب إليَّ؛ لأنهم يقولون: أَوْصِد بابَك؛ أي: أغلِقْه. ومنه ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾؛ أي مُطْبَقَة مُغْلَقَة. وأصله أن تلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته. ومما يوضح هذا: أنك إن جعلت الكلبَ بالفِناءِ كان خارجاً من الكهف. وإن جعلته بعتبة الباب أمكن أن يكون داخل الكهف. والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة، فإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت، فاستعير على ما أعلمتك من مذاهب العرب في كتاب «المشكل». وقد يكون الوصيد الباب نفسه، فهو على هذا كأنه قال: وكلبهم باسط ذراعيه بالباب. قال الشاعر:

بأرضِ فَضاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها ... عليَّ ومعروفي بها غير مُنْكَرِ(٤)

---

(١) كتاب الألفاظ لابن السكيت (ص٤٤٢).

(٢) مقاييس اللغة (٥/٤٥٩).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٨١٧).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٤)، والبيت منسوب لعبيد بن وهب العبسي، كما في سيرة ابن هشام (١/٣٢٦)، ومنسوب للأخطل في: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/١٧٧)، ومنسوب لزهير في جمهرة أشعار العرب (ص١٧)، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/٨٠-٨١).

صرَّح ابن قتيبة هنا بأن أصل (وصد) إلصاق الشيء بما يناسبه كالباب للعتبة، وأن المراد من الآية: أن تلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته، وقال هذا بعد أن ذكر قولاً آخر في الآية وهو تفسير الوصيد بالفِناء، ومال إلى أن المراد بالوصيد هنا العتبة لجلائه من جهة الاشتقاق، فقد بيَّنه وأطنب.

وقريباً من الأصل الذي ذكره ابن قتيبة قال ابن فارس: «(وَصَدَ) الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. وَأَوْصَدْتُ الْبَابَ: أَغْلَقْتُهُ. وَالْوَصِيدُ: النَّبْتُ الْمُتَقَارِبُ الْأُصُولِ. وَالْوَصِيدُ: الْفِنَاءُ؛ لِاتِّصَالِهِ بِالرَّبْعِ. وَالْمُوصَدُ: الْمُطْبَقُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]»[١]، ونحوهما قول الراغب: «وصد الوَصِيدَةُ: حُجْرَةٌ تجعل للمال في الجبل، يقال: أَوْصَدْتُ البابَ وآصَدْتُهُ؛ أي: أطبقته وأحكمته، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠]، وقرئ بالهمز: مطبقة، والوَصِيدُ المتقارب الأصول»[٢].

فالأصل هو الإطباق والتضام والإلصاق؛ هذا من حيث أصل المفردة تلك من حيث أراد ابن قتيبة، وبسببه مال إلى القول بالعتبة دون الفِناء.

وأما المراد بالآية ففيه خلاف؛ لأن المطلوب هنا تحديد مكان كلب أهل الكهف من الكهف. قال الشنقيطي في استعراضه للأقوال متابعاً الطبري في ترجيحه: «اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْمُرَادِ بِـ«الْوَصِيدِ»، فَقِيلَ: هُوَ فِنَاءٌ لِلْبَيْتِ، وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقِيلَ الْوَصِيدُ: الْبَابُ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً. وَقِيلَ: الْوَصِيدُ الْعَتَبَةُ، وَقِيلَ: الصَّعِيدُ، وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ أَنَّ الْوَصِيدَ هُوَ الْبَابُ، وَيُقَالُ لَهُ: «أَصِيدٌ» أَيْضاً؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، أَيْ مُغْلَقَةٌ مُطْبَقَةٌ»[٣].

---

(١) مقاييس اللغة (١١٧/٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٨٧٢).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٢٤/٣)، وانظر أقوال السلف: جامع البيان (٦٢٥/١٧).

وقد انتصر لقول ابن قتيبة ابن عطية، فقال: «والوصيد» العتبة لباب الكهف أو موضعها حيث ليست. وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير «الوصيد» الفناء. وقال ابن عباس أيضاً «الوصيد» الباب. وقال ابن جبير أيضاً: «الوصيد» التراب، والقول الأول أصح، والباب الموصد هو المغلق، أي: قد وقف على وصيده»[1].

ومعلوم أن الكهف ليس له باب، ولكن المراد موضع الباب، على سبيل الاستعارة مما ذكره ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن»، فقد بنى كتابه على أساليب العرب في الكلام مستشهداً عليها من القرآن.

ويظهر أن سبب اختلافهم هنا اختلافهم في تصور موقع الكلب، فابن قتيبة وابن عطية يريان أن موقع الكلب في الباب عند العتبة، فهو على حرف المدخل للكهف. وهذا حقيقة قول ابن عباس ومن تبعه وهم أكثر المفسرين وأهل اللغة والمعاني[2]، وذلك أن مراد أصحاب القول المشهور بالفناء أنه ليس الفناء الفسيح الخارجي البعيد عن الكهف، وإنما المقصود فناء الكهف من الداخل والذي هو موقع الحراسة وهو موضع الكلب، ويوضحه جلياً عبارة ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يُوصَد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة، وذُكِر عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إنها لغة أهل اليمن، وذلك نظير قولهم: وَرَّخْتُ الكتاب وأرَّخْتُه، ووكدت الأمر وأكدته، فمن قال: الوصيد، قال: أوصدت الباب فأنا أُوصِده، وهو مُوصَد، ومن قال: الأصيد، قال: آصدت الباب فهو مُؤْصَد، فكان معنى الكلام: وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب، يحفظ عليهم بابه»[3].

❋❋❋

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٥٠٤).

(٢) نسبه لهم الواحدي في تفسيره البسيط (١٣/٥٦٠).

(٣) جامع البيان (١٧/٦٢٥).

قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن قتيبة: ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾؛ أي ندماً. هذا قول أبي عبيدة، وقول المفسرين: سَرَفاً. وأصله العَجلَةُ والسَّبق. يقال: فَرَطَ مني قول قبيح، أي: سَبق. وفَرَسٌ فُرُطٌ: أي متقدم[١].

ألمح مكي بن أبي طالب إلى ذلك الأصل الذي ذكره ابن قتيبة، إذ قال: «وقال مجاهد: ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ أي: ضياعاً. وقيل معناه: ندامة. وقيل: هلاكاً. وقال ابن زيد: معناه مخالفة للحق. وهو من قولهم أفرط فلان في كذا، إذا أسرف فيه وجاوز قدره، فيكون معناه: وكان أمره سرفاً في كفره وافتخاره وتكبره»[٢]. وكذلك الزمخشري إذ قال: «نابذاً له وراء ظهره من قولهم: «فرس فُرُط» متقدّم للخيل»[٣]. وتبعه كذلك الطاهر فقال: «والفرط -بضمتين-: الظلم والاعتداء. وهو مشتق من الفروط وهو السبق؛ لأن الظلم سبق في الشر»[٤]، ولم يبتعد عن الأصل الذي ذكره ابن قتيبة الراغبُ الأصفهاني إذ قال: «فَرَطَ: إذا تقدّم تقدُّماً بالقصد يَفْرُطُ، ومنه: الفَارِطُ إلى الماء؛ أي: المتقدِّم لإصلاح الدّلو، يقال: فَارِطٌ وفَرَطٌ، وقوله: ﴿أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾ [طه: ٤٥]؛ أي: يتقدّم، وفرس فُرُطٌ: يسبق الخيل، والْإِفْرَاطُ: أن يسرف في التّقدّم، والتَّفْرِيطُ: أن يقصّر في الفَرَط، يقال: ما فَرَّطْتُ في كذا؛ أي: ما قصّرت. قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ﴿مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ [يوسف: ٨٠]، وأَفْرَطْتُ القربة: ملأتها ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: إسرافاً وتضييعاً»[٥].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٦).
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/٤٣٦٧).
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/٧١٨).
(٤) التحرير والتنوير (١٥/٣٠٦).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص٦٣١).

وفي المراد بمعنى الآية كأن ابن عطية اطلع على تفريق الراغب هنا وذكر اختلاف المفسرين وسبب اختلافهم، فقال: «(الفرط) يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع، أي أمره الذي يجب أن يلتزم، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط والإسراف، أي أمره وهواه الذي هو بسبيله، وقد فسره المتأولون بالعبارتين: أعني التضييع والإسراف»، ثم ذكر أقوال بعض السلف فقال: «وعبر خباب عنه بالهلاك، وداود بالندامة، وابن زيد بالخلاف للحق، وهذا كله تفسير بالمعنى»[1]، وتبعه في نحوٍ من هذا القرطبي[2].

ويتجلى هنا سبق أبي عبيدة حين قال في معنى (فرطاً): «أي: سَرَفاً وتضييعاً»[3].

وأما ابن فارس فهو ذهب إلى ما هو أعمق من هذا بكثير، ويفتقر تأملاً لراغب في الاستيعاب حيث قال: «(فَرَطَ) الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِزَالَةِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانِهِ وَتَنْحِيَتِهِ عَنْهُ. يُقَالُ: فَرَّطْتُ عَنْهُ مَا كَرِهَهُ، أَيْ نَحَّيْتُهُ. قَالَ:

فَلَعَلَّ بُطْأَكُمَا يُفَرِّطُ سَيِّئاً   أَوْ يَسْبِقُ الْإِسْرَاعُ خَيْراً مُقْبِلاً[4]

فَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ يُقَالُ: أَفْرَطَ، إِذَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْأَمْرِ. يَقُولُونَ: إِيَّاكَ وَالْفَرَطَ، أَيْ لَا تُجَاوِزِ الْقَدْرَ. وَهَذَا هُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَاوَزَ الْقَدْرَ فَقَدْ أَزَالَ الشَّيْءَ عَنْ جِهَتِهِ. وَكَذَلِكَ التَّفْرِيطُ، وَهُوَ التَّقْصِيرُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَصَّرَ فِيهِ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ عَنْ رُتْبَتِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ»[5].

وكأنه يريد من الأصل المحوري الذي ذكره هنا أن الأصل في عامة الأمور التوسط، وهو المكان الأصلي لها، وتحركها متصور في التضييع الذي هو التفريط أو الإسراف الذي هو الإفراط.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٥١٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/٣٩٢).

(٣) مجاز القرآن (١/٣٩٨).

(٤) البيت نسبه في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لساعدة بن جؤية (٣/١١٤٩)، ونسبه لمرقش - وهو عمرو بن سعيد - في تاج العروس (١٩/٥٣٤)، والمفضليات (ص٢٢١)، ولسان العرب (٧/٣٧٠).

(٥) مقاييس اللغة (٤/٤٩٠).

وبناء على كل هذا العرض فمراد أبي عبد الله بن قتيبة بالأصل إنما هو المشتق من الإفراط.

* * *

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

قال ابن قتيبة: و(الهَشِيمُ) من النبت المتفتت. وأصله: من هَشَمْتُ الشيء إذا كسرته[١].

لم أقف على مخالف لابن قتيبة في أن معنى الهشيم المتكسر المتفتت، وعامَّتهم يذكرون التكسُّر معنىً للتهشم وأن (هشيم) فعيل بمعنى مفعول[٢].

وأما التصريح بالأصل للمفردة، فقد قال ابن فارس: «(هَشَمَ) الْهَاءُ وَالشِّينُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى كَسْرِ الشَّيْءِ الْأَجْوَفِ وَغَيْرِ الْأَجْوَفِ وَهَشَمْتُهُ هَشماً. وَالْهَاشِمَةُ: الشَّجَّةُ تَهْشِمُ عَظْمَ الرَّأْسِ. وَمُجْمَعٌ عَلَى أَنَّ هَاشِماً سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ هَشَمَ الثَّرِيدَ، وَاسْمُهُ عَمْرُو. وَالْهَشِيمُ مِنَ النَّبَاتِ: الْيَابِسُ الْمُتَكَسِّرُ»[٣]. وقال الراغب: «هشم: الْهَشْمُ: كَسْرُ الشيء الرّخو كالنّبات. قال تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، يقال: هَشَمَ عَظْمَه»[٤].

* * *

قال تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٣].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٦٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: مجاز القرآن (٤٠٥/١)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٣٩٢/٦)، التفسير الوسيط للواحدي (١٥٠/٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٢٠/٣)، تفسير القرطبي (٤١٢/١٠)، التحرير والتنوير (٣٣١/١٥).

(٣) مقاييس اللغة (٥٣/٦).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٨٤٢).

قال ابن قتيبة: ﴿وَحَنَانًا﴾؛ أي رحمة. ومنه يقال: تحنَّن عليّ. وأصله من حنين الناقة على ولدها[1].

ذكر أبو عبد الله أن أصل الحنين من حيث أول إطلاقه مأخوذ من حنين الناقة على ولدها، وذكر هذا الأصل كذلك القرطبي[2].

وأما معنى الحَنَان في الآية وهو المشهور في اللغة فمتضمن معانيَ عدة، منها: الشفقة والرحمة والمحبة. قال ابن عطية: «والحنان الرحمة والشفقة والمحبة، قاله جمهور المفسرين، وهو تفسير اللغة. وهو فِعْل من أفعال النفس، ويقال: حنانك وحنانيك، فقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وقيل: حنانَيك تثنية الحنان. وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣] بمعنى تعظيماً من لدنّا»[3]. وتبعه في هذا القرطبي[4]، وذكر نحوه الطاهر بن عاشور[5].

وأضاف الشنقيطي أنه يكون فطرياً: «وَالْحَنَانُ: هُوَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ، وَإِطْلَاقُ الْحَنَانِ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ مَشْهُورٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ»[6].

وقد ذكر ابن جرير أصلاً للحنان، فقال: «وأصل ذلك - أعني الحنان - من قول القائل: حنّ فلان إلى كذا، وذلك إذا ارتاح إليه واشتاق، ثم يقال: تحنَّنَ فلان على فلان، إذا وصف بالتعطُّف عليه والرقة به، والرحمة له»[7].

فهو يريد الأصل المحوري الذي ترجع إليه المعاني وليس أول إطلاق الكلمة، ولذلك نجد الشفقة متضمنة الحب والرحمة والرعاية وغيرها.

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٧٣).
(٢) تفسير القرطبي (١١/٨٧).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/٧).
(٤) تفسير القرطبي (١١/٨٧).
(٥) التحرير والتنوير (١٦/٧٦).
(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/٣٧٩).
(٧) جامع البيان (١٨/١٥٨).

وتبع ابن جرير في هذا الأصل ابن فارس فقال: «(حَنَّ) الْحَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِشْفَاقُ وَالرِّقَّةُ. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مَعَ صَوْتٍ بِتَوَجُّعٍ. فَحَنِينُ النَّاقَةِ: نِزَاعُهَا إِلَى وَطَنِهَا. وَقَالَ قَوْمٌ: قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ أَيْضاً»(١). وترى أنه أشار أولًا إلى الأصل الزمني بعد الأصل المحوري مباشرة كما هو عند ابن قتيبة.

وأما الراغب فقال: «حنَّ الحنين: النّزاع المتضمّن للإشفاق، يقال: حَنَّتِ المرأة، والنّاقة لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت، ولذلك يعبّر بالحنين عن الصّوت الدّالّ على النزاع والشّفقة، أو متصوّر بصورته. وعلى ذلك حنين الجذع، وريح حَنُون، وقوس حَنَّانَة: إذا رنّت عند الإنباض. وقيل: ما له حانَّة ولا آنّة، أي: لا ناقة ولا شاة سمينة، ووُصفتا بذلك اعتباراً بصوتيهما، ولمّا كان الحنين متضمّناً للإشفاق، والإشفاق لا ينفكّ من الرّحمة، عبّر عن الرّحمة به في نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]، ومنه قيل: الحَنَّان المنّان، وحَنَانَيْكَ: إشفاقاً بعد إشفاق(٢).

والحَنَان في الآية صفة من صفات الله تعالى تليق بجلاله وعظمته، نثبتها له على ما يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل، والله سبحانه من أسمائه الحَنَّان وهو اسم متضمن للصفة والأثر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

***

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

قال ابن قتيبة: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ أي ذَلَّتْ. وأصله من عَنِيتُه: أي حبسته. ومنه قيل للأسير: عانٍ(٣).

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٤).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٢٥٩).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٨٢).

تبع أبو جعفر الطبري أبا عبد الله بن قتيبة في تصريحه بالأصل المحوري اللغوي للفظ (عنا)، وهو كذلك المراد في الآية، فقال: «استرّت وجوه الخلق، واستسلمت للحيّ القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا، وأصل العنو الذلّ، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنوا، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان؛ لذلة الأسر، فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يؤول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة»[1].

وتبعهم عامة المفسرين وأهل المعاني والغريب بأن معنى عنت ذلت وخشعت واستأسرت من غير تصريح بالأصل. قال أبو عبيدة: «فهي تعنو عُنُوّا؛ أي استأسرت فهي عوانٍ لربّها، واحدها عانٍ بمنزلة الأسير العاني لأَسْرِه؛ أي ذليل»[2]. وقال ابن عطية: «وَعَنَتِ معناه ذَلَّت، والعاني الأسير»[3].

وجعل الطاهر الأصل للأسير فقال: «والعَناء: الذِّلَّة، وأصله الأسر، والعاني: الأسير. ولما كان الأسير ترهقه ذلة في وجهه أسند العَناء إلى الوجوه على سبيل المجاز العقلي»[4]، وهو يريد بالأصل هنا أول الإطلاق ومنزعه من حيث ابتدأ، ولهذا جاءت لفظة (استأسرت) عند كثير من المفسرين في معنى الآية من لدن ابن جرير -كما تقدم آنفاً- ومن بعده.

وصرح بالأصل ابن فارس فقال: «عَنَى الْعَيْنُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ الْقَصْدُ لِلشَّيْءِ بِانْكِمَاشٍ فِيهِ وَحِرْصٍ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي دَالٌّ عَلَى خُضُوعٍ وَذُلٍّ، وَالثَّالِثُ ظُهُورُ شَيْءٍ وَبُرُوزُهُ»[5].

---

(١) جامع البيان (٣٧٦/١٨).
(٢) مجاز القرآن (٣٠/٢).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٦٥/٤)، وانظر: تفسير القرطبي (٢٤٨/١١).
(٤) التحرير والتنوير (٣١١/١٦).
(٥) مقاييس اللغة (١٤٦/٤).

وأما الراغب فذكر الآية في جذرين وموضعين:

الأول: عنت الْمُعَانَتَةُ كالمعاندة لكن المُعَانَتَةُ أبلغ؛ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك، ولهذا يقال: عَنَتَ فلان: إذا وقع في أمر يُخاف منه التّلف، يَعْنُتُ عَنَتاً. قال تعالى: ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]؛ أي: ذلّت وخضعت، ويقال: أَعْنَتَهُ غيرُهُ. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ويقال للعظم المجبور إذا أصابه ألم فهاضه: قد أَعْنَتَهُ[1].

الثاني: «عنا ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، أي: خضعت مستأسرة بعناء»[2].

والذي يتضح أن موضع الآية هو الموضع الثاني؛ لأن التاء في (عنت) في آية طه تاء التأنيث وليست تاء أصلية، وفرق بين العنت الذي هو المشقة، وبين (عنا) التي هي من الذل والخضوع أو الإذلال للغير، كقولهم: (دخل البلد عنوة).

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قال ابن قتيبة: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ما أُلقي فيها، وأصله من الحَصْباء، وهي: الحصى. يقال: حَصَبْتُ فلاناً: إذا رميته حَصْباً - بتسكين الصاد - وما رَمَيْتَ به: حَصَبٌ، بفتح الصاد. كما تقول: نَفَضْتُ الشجرة نَفْضاً. وما وقع من ثَمرِها: نَفَضٌ؛ واسم حصى الحجارة: حَصَبٌ[3].

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٥٨٩).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٥٩١).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٨٨).

يريد أبو عبد الله بالأصل هنا محل الاشتقاق أنه مأخوذ من الحصباء من حيث اللغة. قال الخليل: «حصب: الحَصْبُ: رَمْيُكَ بالحَصْباء أي صِغار الحَصَى أو كِبارها»[(١)]. وقال ابن فارس: «(حَصَبَ) الْحَاءُ وَالصَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ»[(٢)]. وجعل لهذا الاسم والفعل به إطاراً واضحاً أبو عبيدة فقال: «كل شيء ألقيته فى نار فقد حصبتها»[(٣)]، وزاده توضيحاً السجستاني فقال: «حصب جَهَنَّم: كل شَيْء أَلقيته فِي نَار فَهُوَ حصب قد حصبتها به»[(٤)].

والمعنى في التفسير، إذ قال ابن عطية: «الحصب ما توقد به النار، إما لأنها تحصب به أي ترمى، وإما أن تكون لغة في الحطب إذا رمي، وأما قبل أن يرمى به فلا يسمى حصباً إلا بتجوز»[(٥)]. وقال السمين الحلبي: «وهو ما يُحْصَبُ؛ أي: يرمى في النارِ، ولا يقالُ له حَصَب إلاَّ وهو في النارِ، فأمَّا ما قبل ذلك فحَطَبٌ وشجرٌ وغير ذلك»[(٦)].

ومنْعُهما إطلاق لفظ الحصب على ما يرمى في النار قبل أن يرمى فلأن النار تُعمر بالحطب والشجر ونحوهما؛ وأمَّا الحصَب فهو من الحصباء التي ليست من جنس ما يحتطب، ولا يتخذ للإيقاد. ويرد هذا الاحتراز في تفسير الآية هنا آية التحريم كما بيَّن الطاهر، فقال: «والحصب: اسم بمعنى المحصوب به؛ أي المرمي به. ومنه سميت الحصباء لأنها حجارة يرمى بها؛ أي: يُرْمَون في جهنم، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] أي: الكفار وأصنامهم»[(٧)].

* * *

---

(١) العين (١٢٣/٣).

(٢) مقاييس اللغة (٧٠/٢).

(٣) مجاز القرآن (٤٢/٢).

(٤) غريب القرآن للسجستاني (ص١٩٤).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠١/٤).

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢٠٦/٨).

(٧) التحرير والتنوير (١٥٣/١٧).

قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

قال ابن قتيبة: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨]، قال المفسرون: لا سبيل عليَّ. والأصلُ من «التَّعدِّي»، وهو: الظلم. كأنه قال: أيَّ الأَجَلَيْنِ قضيتُ، فلا تعتدِ عليَّ بأن تُلزمَني أكثرَ منه[١].

سبق ابن قتيبة إلى هذا الأصل أبو عبيدة معمر بن المثنى، فقال: «وهو من العدا والتعدي والعدو واحد كله وهو الظلم»[٢]. وأمَّا ابن فارس فلم يبتعد عن معنى الظلم ولكنه اختار لفظاً أوسع فجعله في عموم التجاوز؛ فقال: «(عَدَوَ) الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفُرُوعُ كُلُّهَا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزٍ فِي الشَّيْءِ وَتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ»[٣]، ونحوه الراغب الأصفهاني: «العَدْوُ: التَّجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب، فيقال له: العَدَاوَةُ والمُعَادَاةُ، وتارة بالمشي، فيقال له: العَدْوُ، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له: العُدْوَانُ والعَدْوُ»[٤].

ولم يختلف أحد منهم أن المراد بالآية هنا التعدِّي والتجاوُز والظلم. قال الطاهر: «والعدوان بضم العين: الاعتداء على الحق؛ أي فلا تعتدي علي. فنفى جنس العدوان الذي منه عدوانُ مستأجِرِه»[٥].

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٣٢).
(٢) مجاز القرآن (١٠٢/٢).
(٣) مقاييس اللغة (٢٤٩/٤).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٥٥٣).
(٥) التحرير والتنوير (١١٠/٢٠).

قال ابن قتيبة: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾؛ أي شُدِّد عليهم وهُوِّل. و«الزِّلازلُ»: الشدائدُ. وأصلها من «التحريك»[١].

أورد ابن قتيبة أصل الزلازل هنا وهو يريد مصدر اشتقاقه ومنبعه وهو التحريك، وتبعه في هذا الزجاج، فقال: «خُوِّفُوا وحُرِّكُوا بما يُؤْذي، وأصل الزلزلة في اللغة مِنْ زَلَّ الشيءُ عن مكانه. فإذا قلت: زلزلة، فتأويله كررت زلزلته من مكانه، وكل ما فيه ترجُّع كررت فيه فاءُ التفعيل، تقول: أقلَّ فلان الشيءَ إذا رفعه من مكانه، فإذا كرر رَفْعَه وَردَّه قيل: قلقله، وكذا صلَّ، وصَلْصَل وصَرَّ وصَرْصَرَ، فعلى هذا قياس هذا الباب. فالمعنى أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف. أُزْعِجوا إزعاجاً شديداً وحُرِّكوا»[٢]. وتوافقت عبارة المفسرين على معنى التحريك. قال أبو جعفر الطبري: «حُرّكوا بالفتنة تحريكاً شديداً، وابتُلوا وفُتنوا»[٣].

وفصَّل الطاهر في تفسير الآية فقال: «والزلزال: اضطراب الأرض، وهو مضاعف زَلَّ تضعيفاً يفيد المبالغة، وهو هنا استعارة لاختلال الحال اختلالاً شديداً بحيث تخيل مضطربة اضطراباً شديداً كاضطراب الأرض، وهو أشد اضطراباً للحاقه أعظم جسم في هذا العالم. ويقال: زُلزل فلان، مبنياً للمجهول تَبَعاً لقولهم: زلزلت الأرض؛ إذ لا يعرف فاعل هذا الفعل عرفاً. وهذا هو غالب استعماله، قال تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، والمراد بزلزلة المؤمنين شدة الانزعاج والذعر؛ لأن أحزاب العدو تفوقهم عدداً وعدة»[٤].

وذهب إلى معنى أصل الفعل قبل التضعيف الراغبُ، فقال: «زَلَّ: الزَّلَّةُ في الأصل: استرسال الرِّجْل من غير قصد، يقال: زَلَّتْ رِجْلٌ تَزِلُّ، والْمَزِلَّةُ: المكان الزّلق، وقيل

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢١٩/٤).

(٣) جامع البيان (٢٢٢/٢٠)، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٧٣/٤)، تفسير القرطبي (١٤٦/١٤).

(٤) التحرير والتنوير (٢٨٣/٢١).

للذّنب من غير قصد: زَلَّةٌ، تشبيهاً بزلّة الرّجل. قال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ [البقرة: ٢٠٩]، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦]. والتَّزَلْزُلُ: الاضطراب، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزّلل فيه، قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[1] [الزلزلة: ١].

وأما ابن فارس فقال: «(زلّ) الزّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ فِي الْمُضَاعَفِ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ زَاءٍ بَعْدَهَا لَامٌ فِي الثُّلَاثِيِّ. وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ هَذَا الْأَصْلِ. تَقُولُ: زَلَّ عَنْ مَكَانِهِ زَلِيلاً وَزَلًّا. وَالْمَاءُ الزُّلَالُ: الْعَذْبُ؛ لِأَنَّهُ يَزِلُّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ لِرِقَّتِهِ. وَالزَّلَّةُ: الْخَطَأُ؛ لِأَنَّ الْمُخْطِئَ زَلَّ عَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ، وَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ: اضْطَرَبَتْ، وَزُلْزِلَتْ زِلْزَالاً»[2].

ويظهر أن الأصل عند ابن قتيبة (التحريك) أوسع من مأخذه عند الراغب فيشمل تحريك الرجل وغيرها.

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

قال ابن قتيبة: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي سبِّحي. وأصله: التأْويبُ في السير؛ وهو: أن تسيرَ النهارَ كلَّه وتنزلَ ليلاً. قال ابن مُقبِل:

لَحِقْنا بحيٍّ أوّبوا السَّيرَ بعدَ ما   دَفَعْنا شُعاعَ الشمسِ والطَّرْفُ يَجْنَحُ[3]

كأنه أراد: أوِّبِي النهارَ كلَّه بالتسبيح إلى الليل[4].

أراد ابن قتيبة بالمصدر هنا محل الاشتقاق ومنبعه ومأخذه وأنه سير النهار؛ وقد اختلف عليه في هذا فقال الخليل: «والأَوْب: ترجيع الأيدي والقوائم في السّير، والفِعْل من ذلك: التّأويب، والتّأويب: من سير اللّيل. أوّبت الإبل تأويباً، والتّأويبة: مرّة لا

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٣٨١).
(٢) مقاييس اللغة (٤/٣).
(٣) البيت لابن مقبل في: تفسير القرطبي (٢٦٥/١٤)، والبحر (٢٦٣/٧).
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٥٣).

غير. ويقال: التّأويب: سيرُ النّهار إلى اللَّيل. وتقول: لتهنك أوبةُ الغائبِ؛ أي: إيابُه ورجوعه. والمآب: المَرْجِعُ»[١]. فالخليل وإن لم يصرح بالأصل إلا أنه ذكر القول الذي أورده ابن قتيبة وقولاً آخر وهو حركة سير خاصة بالإبل، وصرح بكونه أصلاً مكي ابن أبي طالب، فقال: «والتأويب في كلام العرب: الرجوع، ومبيت الرجل في منزله وأهله، وأصله من سرعة رجع أيدي الإبل وأرجلها في السير الحثيث، وهو التأويب»[٢]. وأورد معمر بن المثنى معنى ثالثاً للتأويب، فقال: «والتأويب أن يبيت في أهله، قال سلامة بن جندل:

يومان يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سيرٍ إلى الأعداء تأويب»[٣]

فهذه إطلاقات ثلاثة كلها صحت في معنى التأويب.

وأما الأصل المحوري الذي ترجع إليه معاني الكلمة، فإنهم يتفقون أنه (الرجوع). قال الخليل: «أوب: يقال: آب فلان إلى سيفه؛ أي: ردّ يده إلى سيفه. وآب الغائب يؤوب أوباً؛ أي: رجع»[٤]. وقال ابن فارس: «(أَوَبَ) الْهَمْزَةُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الرُّجُوعُ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَا يَبْعُدُ فِي السَّمْعِ قَلِيلاً، وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ»[٥]. وقال الراغب: «أوب الأَوْبُ: ضربٌ من الرجوع، وذلك أنّ الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع يقال فيه وفي غيره، يقال: آب أَوْباً وإِيَاباً ومَآباً»[٦].

وأما معنى الآية، فقال مكي: «أي: وقد أعطينا داود منا فضلاً، وقلنا للجبال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبحي معه إذ سبح»، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد.

---

(١) العين (٨/٤١٦).
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/٥٨٨٩).
(٣) مجاز القرآن (٢/١٤٢).
(٤) العين (٨/٤١٦).
(٥) مقاييس اللغة (١/١٥٢).
(٦) المفردات في غريب القرآن (ص٩٧).

والتأويب في كلام العرب: الرجوع، ومبيت الرجل في منزله وأهله، وأصله من سرعة رَجْع أيدي الإبل وأرجلها في السير الحثيث، وهو التأويب[1].

* * *

قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥].

قال ابن قتيبة: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف: ٥]؛ أي نُمسك عنكم فلا نذكركم صفحاً؛ أي إعراضاً. يقال: صفحت عن فلان؛ إذا أعرضت عنه. والأصل في ذلك: أنك تُولِّيه صفحةَ عنقك. قال كُثير يصف امرأة:

صَفُوحاً فما تَلْقاكَ إلا بحيلةٍ ... فَمَن مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتِ[2]

أي معرضةً بوجهها.

ويقال: ضربت عن فلان كذا؛ أي أمسكته وأضربت عنه[3].

نص ابن قتيبة على الأصل هنا، وهو يريد أصل الاشتقاق ومأخذه أول استعماله، وتبعه في هذا من غير تصريح بالأصل أبو جعفر النحاس فقال: «أي إعراضاً يجوز أن يكون المعنى: أفنصفح عنكم صفحاً كما يقال هو يدعه تركاً، ويجوز أن يكون المعنى: أفنضرب عنكم الذكر صافحين كما يقال: جاء فلان مشياً، ومعنى صفحت عنه: أعرضتُ عنه؛ أي وَلَّيته صفحة عنقي»[4]، والواحدي فقال: «ضربت عنه، وأضربت عنه، أي: تركته، وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم: صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك أنك توليه صفحة وجهك وعنقك»[5]، ونقل قول ابن قتيبة وعزاه

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (٥٨٨٩/٩)، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٠٧/٤)، تفسير القرطبي (٢٦٥/١٤)، التحرير والتنوير (١٥٦/٢٢).

(٢) البيت لكثير عزة في: الزاهر في معاني كلام الناس (٢٧١/١)، ولسان العرب (٥١٥/٢)، والشعر والشعراء (٥٠٥/١).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٩٥).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٣٣٥/٦).

(٥) التفسير الوسيط للواحدي (٦٤/٤).

إليه السمعاني[1]، وصرح بالأصل القرطبيُّ ونقل كلامَ ابن قتيبة: «وَمَعْنَى (صَفْحاً) إِعْرَاضاً، يُقَالُ: صَفَحْتُ عَنْ فُلَانٍ إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْ ذَنْبِهِ. وَقَدْ ضَرَبْتُ عَنْهُ صَفْحاً إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَتَرَكْتُهُ. وَالْأَصْلُ فِيهِ صَفْحَةُ الْعُنُقِ، يُقَالُ: أَعْرَضْتُ عَنْهُ، أَيْ وَلَّيْتُهُ صَفْحَةَ عُنُقِي»[2].

والمراد من الآية: «فيحتمل أن يكون بمعنى العفو والغفر للذنب، فكأنه يقول: أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم وغفراً لإجرامكم إذ كنتم، أو من أجل أن كنتم قوماً مسرفين؟ أي: هذا لا يصلح، وهذا قول ابن عباس ومجاهد، ويحتمل قوله: صَفْحاً أن يكون بمعنى مغفولاً عنه، أي نتركه يمر لا تؤخذون بقبوله ولا بتدبر ولا تنبهون عليه»[3].

وهذان القولان لا يخالفان الأصل الذي ذكره ابن قتيبة؛ حيث إن تحويل الوجه مع العنق بإشارة إلى الإعراض عن الشيء قد يكون للصفح والعفو والتجاوز، وقد يكون للتغافل والظهور بمظهر الذي لم يعلم.

وأما من حيث الدلالة المحورية، فإن ابن فارس لم يبتعد عن أصل الاشتقاق الذي ذكره ابن قتيبة فقال: «(صَفَحَ) الصَّادُ وَالْفَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى عَرْضٍ وَعِرَضٍ. مِنْ ذَلِكَ صَفْحُ الشَّيْءِ: عَرْضُهُ. وَيُقَالُ: رَأْسٌ مُصْفَحٌ: عَرِيضٌ»[4].

فتراه اختار لفظ (العرض) مرجعاً لجميع الباب والعَرض مقتنص من الإعراض بصفحة الوجه والعنق أو من عرض الوجه والعنق، إذ لا يبدو إلا هما مع الالتفات؛ وجاءت عبارة الراغب أقرب للفظ ابن قتيبة فقال: «صفح: صَفْحُ الشيءِ: عُرضه وجانبه، كَصَفْحَةِ الوجهِ، وصَفْحَةِ السّيفِ، وصَفْحَةِ الحَجَرِ. والصَّفْحُ: تركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو، ولذلك قال: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقد

(١) تفسير السمعاني (٥/٩١).
(٢) تفسير القرطبي (١٦/٦٣).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٤٦).
(٤) مقاييس اللغة (٣/٢٩٣).

يعفو الإنسان ولا يصفح. قال: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٩]، ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ [الزخرف: ٥](١).

***

قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

قال ابن قتيبة: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾؛ أي ألهِمْني. والأصل في «الإيزاع»: الإغراء بالشيء؛ يقال: فلان مُوزَعٌ بكذا ومُولَعٌ(٢).

ذكر ابن قتيبة أن أصل الإيزاع: الإغراء بالشيء، وهذا من ضمن ما ذكره أهل اللغة والمعاني والتفسير. قال الخليل: «وزع: الوزع: كفُّ النَّفْس عن هواها. والوازِعُ: الحابسُ للعسكر. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧، ٨٣]؛ أي: يُكَفُّ أوّلُهم على آخرهم. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]؛ أي: أَلْهِمْني»(٣). وقال ابن فارس: «(وَزَعَ) الْوَاوُ وَالزَّاءُ وَالْعَيْنُ: بِنَاءٌ مَوْضُوعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ. وَوَزَعْتُهُ عَنِ الْأَمْرِ: كَفَفْتُهُ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، أَيْ يُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ... وَبِنَاءٌ آخَرُ، يُقَالُ: أَوْزَعَ اللهُ فُلَانًا الشُّكْرَ: أَلْهَمَهُ إِيَّاهُ. وَيُقَالُ: هُوَ مَنْ أُوزِعَ بِالشَّيْءِ، إِذَا أُولِعَ بِهِ، كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُولِعُهُ بِشُكْرِهِ. وَبِهَا أَوْزَاعٌ مِنَ النَّاسِ، أَيْ جَمَاعَاتٌ»(٤). وقال الراغب: «وزع: يقال: وَزَعْتُهُ عن كذا: كففتُه عنه. قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، فقوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] إشارةٌ إلى أنهم مع كثرتهم وتفاوتهم لم يكونوا مهملين ومبعدين، كما يكون الجيش الكثير المتأذّى بمعرّتهم، بل كانوا مسوسين ومقموعين. وقيل في قوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: حبس أولهم على آخرهم، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ﴾

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٤٨٦).
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٠٧).
(٣) العين (٢/٢٠٧).
(٤) مقاييس اللغة (٦/١٠٦).

إلى قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩]، فهذا وَزْعٌ على سبيل العقوبة. وقيل: الوُزُوعُ الولوعُ بالشيء. يقال: أَوْزَعَ اللهُ فلاناً: إذا ألهمه الشّكر، وقيل: هو من أُوْزِعَ بالشيء: إذا أُولِعَ به، كأن الله تعالى يُوزِعُهُ بشكره، ورَجُلٌ وَزُوعٌ، وقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]؛ قيل: معناه: ألهمني، وتحقيقه: أولعني ذلك، واجعلني بحيث أَزِعُ نفسي عن الكفران»[١].

ومن خلال هذا العرض لا يكاد يعود هذا الجذر باستعمالاته المشهورة لمعنى واحد واضح أو متقارب، فعبارة ابن فارس كافية لهذه النتيجة.

والذي جرى على بيان الخليل معنيان يكادان أن يكونا ضدين وهما: الكف والحبس مع الإغراء والإلهام، وهذا منبع القلق ومنه يتبين أن ابن قتيبة ذكر أصلاً واحداً من الكلمة متسقاً مع آية الموضع معنا.

وعبارة الخليل إذ يقول: «يُكَفُّ أوّلُهم على آخرهم» في معنى ﴿يُوزَعُونَ﴾، ولعل هذا يتسق مع جميع مواضع هذه الكلمة، وذلك عند التأمل فإن متأخرهم يُغرى ويحثُّ ويُولع بالسير ومتقدمهم يكف ويحبس، وكل هذا في وقت واحد ليلحق آخرهم أولهم، وهذا شيء من الترتيب والتهذيب المستقيم سواء في سير الجيوش أو في الإيعاز إلى النار كما أشار الراغب، وبهذا التصور يصح المعنيان ويرتبطان.

وجاءت عبارة كثير من المفسرين تبعاً لابن قتيبة: ألهمني وأَغْرِني[٢].

وأما ابن عطية فقد انفرد بعبارة تتسق مع معنيي الكفِّ والإلهام، فقال: «ادفعني عن الموانع وازجرني عن القواطع لأجل أن أشكر نعمتك»[٣]. والدفع بمعنى الإغراء، والزجر بمعنى الكف.

***

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٨٦٨).

(٢) جامع البيان (١١٤/٢٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٢/٤)، معاني القرآن للنحاس (١٢٢/٥)، تفسير السمعاني (١٥٤/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨٤٣/١١)، تفسير القرطبي (١٩٤/١٦).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٨/٥).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١].

قال ابن قتيبة: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، أبطلها وأصل «الضَّلال»: الغَيْبُوبة. يقال: ضلَّ الماءُ في اللبن؛ إذا غاب وغُلب عليه؛ فلم يُتبيَّن[١].

لم أقف على من تابع ابن قتيبة في أن أصل الضلال الغيبوبة بهذا النص. بل إني وجدت له في «تأويل مشكل القرآن» قوله: وربما جعلت العرب (الإضلال) في معنى الإبطال والإهلاك؛ لأنه يؤدّي إلى الهلكة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠]، أي بطلنا ولحقنا بالتراب وصرنا منه. والعرب تقول: ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب اللبن عليه فلم يتبيّن[٢]. فتراه هنا ساق ذات المثال الذي معنا وكأنه يريد معنى الإبطال لأن اللبن أبطل الماء.

والذي ذكره الخليلُ من غير نص على الأصل أن الإضلال من الضياع؛ قال: «ضل: ضَلَّ يَضِلُّ إذا ضاعَ، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ ويضل»[٣]، وعليه بنى الأصل المحوري ابن فارس وأتى على عامة الألفاظ المشهورة فقال: «(ضَلَّ) الضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ ضَيَاعُ الشَّيْءِ وَذَهَابُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ. يُقَالُ: ضَلَّ يَضِلُّ وَيَضَلُّ، لُغَتَانِ. وَكُلُّ جَائِرٍ عَنِ الْقَصْدِ ضَالٌّ. وَالضَّلَالُ وَالضَّلَالَةُ بِمَعْنًى. وَرَجُلٌ ضِلِّيلٌ وَمُضَلَّلٌ، إِذَا كَانَ صَاحِبَ ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الضَّلَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُمْ: أُضِلَّ الْمَيِّتُ، إِذَا دُفِنَ. وَذَاكَ كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ ضَاعَ. وَيَقُولُونَ: ضَلَّ اللَّبَنُ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُونَ اسْتُهْلِكَ»[٤].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٠٩).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٨٥).

(٣) العين (٨/٧).

(٤) مقاييس اللغة (٣/٣٥٦).

وأما أهل المعاني والتفسير فإنهم جعلوا معنى الآية: «أحبطها وضيعها وأبطلها عليهم، فلا قيمة لأعمالهم الصالحة»(١).

وغلّب الراغب الحقيقة الشرعية في معنى الضلال لكثرة وروده في كتاب الله تعالى من غير بسط للآية موضع الشاهد مَعَنا، فقال: «ضل الضَّلَالُ: العدولُ عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الإسراء: ١٥]، ويقال: الضَّلَالُ لكلّ عدولٍ عن المنهج، عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً، فإنّ الطّريق المستقيم الذي هو المرتضى، وقال في الكافر: ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٨].

وليس مِنْ تباعُدٍ بين الحقيقة اللغوية والشرعية في آية سورة محمد. قال الطاهر مفسراً للأصل بمعنى الضياع: «والإضلال: الإبطال والإضاعة، وهو يرجع إلى الضلال. وأصله الخطأ للطريق المسلوك للوصول إلى مكان يراد وهو يستلزم المعاني الأخر. وهذا اللفظ رشيق الموقع هنا لأن الله أبطل أعمالهم التي تبدو حسنة، فلم يثبهم عليها من صلة رحم، وإطعام جائع، ونحوهما، ولأن من إضلال أعمالهم أن كان غالب أعمالهم عبثاً وسيئاً، ولأن من إضلال أعمالهم أن الله خيب سعيهم فلم يحصلوا منه على طائل فانهزموا يوم بدر وذهب إطعامهم الجيش باطلاً، وأفسد تدبيرهم وكيدهم للرسول ﷺ فلم يشفوا غليلهم يوم أُحد، ثم توالت انهزاماتهم في المواقع كلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦](٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٥)، معاني القرآن للنحاس (٤٥٩/٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٦٨/١)، التفسير الوسيط للواحدي (١١٨/٤)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣١٤/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠٩/٥)، تفسير القرطبي (٢٢٤/١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٧٤/٢٦).

وقال أبو هلال العسكري في تفريقه بين الضلال والغي: «وأصل الضلال الهلاك»[1]، ولا شك أن هذا ليس أصلًا للضلال، وإنما الهلاك نتيجة للضلال الذي هو الضياع، وسواء كان الضائع تائها في مفازة من إنسان أو حيوان ثم انقطع فهلك أو كان الضائع من المكلفين تاه عن طريق الحق فهَلَكَتُه في الآخرة وعيدُ ربه.

* * *

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩].

قال ابن قتيبة: و(الذَّنوب): الحظ والنصيب. وأصله: الدَّلْوُ العظيمة. وكانوا يَسْتَقون فيكون لكل واحدٍ ذنوبٌ. فجُعل «الذَّنوب» مكان «الحظ والنصيب»: على الاستعارة[2].

أراد ابن قتيبة بالأصل هنا الكلمة التي اشتق منها المعنى، وقد أطبق أهل اللغة والمعاني والتفسير على أن المراد بالآية النصيب، وأنه مأخوذ من الدلو. قال الفراء: «والذنوب فِي كلام العرب: الدَّلْوُ العظيمة، ولكن العربَ تذهَبُ بها إلى النَّصِيب والحظِّ. وَبذلِكَ أتى التفسيرُ: فإنَّ للذين ظَلموا حظّاً من العذابِ، كما نزَلَ بالذين من قبلهم»[3].

وفي هذه المواضع نفسها صرح ابن قتيبة بالأصل أنه دَلْوٌ في كتابه «تأويل مشكل القرآن»، وصرح به كذلك مكي بن أبي طالب وأبو المظفر السمعاني، وأبو محمد ابن عطية، وأبو عبد الله القرطبي. وذهب بالأصل إلى طريقة الاقتسام الزمخشري،

---

(١) الفروق اللغوية (ص٣٩٢).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٢٣).

(٣) معاني القرآن للفراء (٩٠/٣)، وانظر: مجاز القرآن (٢٢٨/٢)، تأويل مشكل القرآن (ص٩٧)، جامع البيان (٤٤٧/٢٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٩/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٧١١١/١١)، التفسير الوسيط للواحدي (١٨٢/٤)، تفسير السمعاني (٢٦٥/٥)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٠٧/٤)، تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٣/٥)، تفسير القرطبي (٥٧/١٧) التحرير والتنوير (٣٠/٢٧).

فقال: «الذَّنوب: الدلو العظيمة، وهذا تمثيل، أصله في السُّقاة يتقسمون الماء، فيكون لهذا ذنوب، ولهذا ذنوب»[1]. وقال ابن فارس: «(ذَنَبَ) الذَّالُ وَالنُّونُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا الْجُرْمُ، وَالْآخَرُ مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ كَالْحَظِّ وَالنَّصِيبِ»، ثم استرسل في ذكر المعاني المشهورة للأصلين الأولين، وأهمل الثالث الذي هو النصيب فلم يتعرض له[2].

***

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

قال ابن قتيبة: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وأصله من «قُوَى الحَبْل»؛ وهي طاقاته. الواحدة: قوة[3].

أراد ابن قتيبة بالأصل هنا مأخذ اشتقاق الكلمة وأنه من قُوى الحبل، متابعاً بهذا الخليل بن أحمد، فقال ملمحاً للأصل: «جعل مصدر القَوِيّ على فعالة، والشعراء تتكلفه في النعت اللازم. ورجل شديد القُوَى، أي: شديد أَسْر الخلق مُمِرُّه، أخذ من قُوى الحبل. والقُوّةُ (طاقة من طاقات) الحبل، والجميع: القُوَى»[4]. وتبعهما ناصاً على الأصل الاشتقاقي بعد أن نص على الأصل المحوري ابن فارس فقال: «(قَوِيَ) الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى شِدَّةٍ وَخِلَافِ ضَعْفٍ، وَالْآخَرُ عَلَى خِلَافِ هَذَا وَعَلَى قِلَّةِ خَيْرٍ. فَالْأَوَّلُ الْقُوَّةُ، وَالْقَوِيُّ: خِلَافُ الضَّعِيفِ. وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَى، وَهِيَ جَمْعُ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى الْحَبْلِ. وَالْمُقْوِي: الَّذِي أَصْحَابُهُ وَإِبِلُهُ أَقْوِيَاءُ. وَالْمُقْوِي: الَّذِي يُقْوِي وَتَرَهُ، إِذَا لَمْ يُجِدْ إِغَارَتَهُ فَتَرَاكَبَتْ قُوَاهُ. وَرَجُلٌ شَدِيدُ الْقُوَى، أَيْ شَدِيدُ أَسْرِ الْخَلْقِ»[5].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/٤٠٧).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٣٦١)، ورجعت لأكثر من طبعة أتحرى كلمة الآية هنا فلم أجد.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٢٧).

(٤) العين (٥/٢٣٦).

(٥) مقاييس اللغة (٥/٣٦).

وأما معنى الآية فعامة أهل المعاني والغريب والتفسير على أن القوى جمع قوة وأن المراد به جبريل [1] عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* * *

قال تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦].

قال ابن قتيبة: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦]؛ أي ذو قوةٍ. وأصل «المِرَّة»: الفَتْلُ [2].

أشار ابن قتيبة في هذا الموضع إلى أصل اشتقاق الكلمة ومن أين أخذ المعنى قبل دورانه في ألفاظ مشهورة، فجعله من (مرة الفتل) متابعاً للخليل في هذا، فقال: «والمِرَّةُ: شِدَّةُ الفَتْل. والمِرَّة: شِدّةُ أَسْرِ الخَلْق. وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾، أي: سويّ، يعني: جبريلَ عليه السّلامُ خَلَقَهُ اللهُ قَوِيّاً سَوِيّاً. وذو مِرّة سَوِيّ، أي: قويٌّ صحيحُ البَدَن. والمرير: الحبلُ المَفْتول. وقد أَمْرَرْتُه إمراراً، وأَمْرٌ مُمَرٌّ» [3]. وممن صرح بالأصل كذلك ابن عطية فقال: «وذُو مِرَّةٍ معناه: ذو قوة، قاله قتادة وابن زيد والربيع، ومنه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سوي». وأصل المرة من مرائر الحبل، وهي فَتْلُه، وإحكام عمله» [4].

ومعنى الآية عندهم على خلاف: وأكثر الأقوال على: المِرَّة وهي القوة [5].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢/٢٣٦)، جامع البيان (٢٢/٤٩٨)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/٧١٤٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/١٩٣)، تفسير السمعاني (٥/٢٨٤)، المفردات في غريب القرآن (ص٦٩٣، ٦٩٤)، تفسير القرطبي (١٧/٨٥)، التحرير والتنوير (٢٧/٩٥).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٢٧).

(٣) العين (٨/٢٦٢).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/١٩٦).

(٥) مجاز القرآن (٢/٢٣٦)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٧٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/١٩٣)، تفسير السمعاني (٥/٢٨٥)، المفردات في غريب القرآن (ص٧٦٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/١٩٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٣١٦).

وقيل: الخلق الحسن، وقيل: العقل الراجح. قال الطاهر مقدماً القول بالتأسيس على التكرار، إذ تقدم معنى القوة: «والمرة، بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة، تطلق على قوة الذات وتطلق على متانة العقل وأصالته، وهو المراد هنا؛ لأنه قد تقدم قبله وصفه بشديد القوى، وتخصيص جبريل بهذا الوصف يشعر بأنه الملك الذي ينزل بفيوضات الحكمة على الرسل والأنبياء»(١). وجمع بين الأقوال بعبارته - حيث إنها متلازمة - ابن جرير الطبري فقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالمرّة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات. والجسم إذا كان كذلك من الإنسان، كان قوياً، وإنما قلنا إن ذلك كذلك؛ لأن المرة واحدة المرر، وإنما أُريد به: ذو مرة سوية، وإذا كانت المرّة صحيحة، كان الإنسان صحيحاً»(٢).

***

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك: ٣].

قال ابن قتيبة: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٣]؛ أي اضطراب واختلافٍ، وأصله من «الفوت»، وهو: أن يفوت شيء شيئاً، فيقعَ الخللُ ولكنه متصلٌ بعضُه ببعض(٣).

أشار أبو عبد الله هنا إلى أصل التفاوت وأنه مأخوذ من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً فيقع الخلل؛ وتبعه في هذا الراغب من غير تصريح بالأصل: «والتَّفَاوُتُ: الاختلاف في الأوصاف، كأنه يُفَوِّتُ وصف أحدهما الآخر، أو وصف كلّ واحد منهما الآخر. قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٣]، أي: ليس فيها ما يخرج عن

(١) التحرير والتنوير (٢٧/٩٥).
(٢) جامع البيان (٢٢/٤٩٩).
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٧٤).

مقتضى الحكمة»[1]. وذكره الزمخشري ملمحاً بالأصل فقال: «تفاوت أي: من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض، إنما هي مستوية مستقيمة. وحقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأن بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه. ومنه قولهم: خلق متفاوت. وفي نقيضه: متناصف»[2]. وكذلك السمين الحلبي من غير تصريح بالأصل: «والتفاوُت: عدمُ التناسُبِ؛ لأنَّ بعض الأجزاءِ يَفُوت الآخَرَ»[3].

وغير بعيد من هذا قول أهل المعاني والتفسير في معنى التفاوت المنفي عن خلق السموات، فقالوا: «الاختلاف والاضطراب والخلل والعيب»[4].

وكلها نتائج للتفاوت إلا الاضطراب فإنه من أسباب التفاوت كما يحصل في اختلال الكون عند القيامة.

وأما ابن فارس فاختار أصلاً محورياً مبنياً على ضد الفوت وهو الإدراك: «(فَوَتَ) الْفَاءُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أُصَيْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ إِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ. يُقَالُ: فَاتَهُ الشَّيْءُ فَوْتاً. وَتَفَاوَتَ الشَّيْئَانِ: تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهُمَا، أَيْ لَمْ يُدْرِكْ هَذَا ذَاكَ. وَالِافْتِيَاتُ: افْتِعَالٌ مِنَ الْفَوْتِ، وَهُوَ السَّبْقُ إِلَى الشَّيْءِ دُونَ الِائْتِمَارِ. يُقَالُ: فُلَانٌ لَا يُفْتَاتُ عَلَيْهِ، أَيْ لَا يُعْمَلُ شَيْءٌ دُونَ أَمْرِهِ»[5].

وفرَّق أبو هلال العسكري بين التفاوت والاختلاف، فقال: «أن التفاوت كله مذموم، ولهذا نفاه الله تعالى عن فعله، فقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [الملك: ٣]، ومن الاختلاف ما ليس بمذموم، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [المؤمنون: ٨٠]،

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٦٤٦).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٥٧٦/٤).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣٧٨/١٠).

(٤) معاني القرآن للفراء (١٧٠/٣)، جامع البيان (٥٠٦/٢٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٩٨/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٥٩١/١٢)، تفسير السمعاني (٧/٦)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٥٧٦/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٣٨/٥)، تفسير القرطبي (٢٠٨/١٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣٩٤/٢)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣٧٨/١٠)، التحرير والتنوير (١٧/٢٩).

(٥) مقاييس اللغة (٤٥٧/٤).

فهذا الضرب من الاختلاف يكون على سنن واحد وهو دال على علم فاعله، والتفاوت هو الاختلاف الواقع على غير سنن وهو دال على جهل فاعله»(١).

***

قال تعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

وقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

قال ابن قتيبة: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي: عذاباً شاقّاً. يقال: تصعّدني الأمر؛ إذا شق عليّ. ومنه قول عمرَ: «ما تَصَعَّدَني شيءٌ ما تصعَّدَتْني خُطْبَةُ النِّكاح». ومنه قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾؛ أي: عقبةً شاقةً. ونرى أصلَ هذا كلِّه من «الصُّعود» لأنه شاقٌّ؛ فكُنِّيَ به عن المشقات(٢).

أورد أبو عبد الله بن قتيبة هذا الأصل وعبارته تدل على أنه أصل محوري يدخل فيه جميع اشتقاقات الكلمة؛ وقد سبقه إلى هذا الأصل من تصريح الخليل فقال: «صعد: صعِد صعوداً، أي: ارتقى مكاناً مشرفاً. والصَّعود أيضاً بمنزلة الكؤود من عقبة، وارتكاب مشقة في أمر. والعرب تؤنثه، وقول العرب: لأرهقنّك صَعودا، أي: لأجشمنّك مشقة من الأمر. واشتق ذلك، لأن الارتكاب في صَعود أشق من الارتكاب في هَبوط. وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾؛ أي: مشقة من العذاب»(٣).

وتبع ابن قتيبة في هذا الأصل ابن فارس فقال: «(صَعَدَ) الصَّادُ وَالْعَيْنُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَمَشَقَّةٍ. مِنْ ذَلِكَ: الصَّعُودُ، خِلَافُ الْحُدُورِ، وَيُقَالُ: صَعِدَ يَصْعَدُ. وَالْإِصْعَادُ: مُقَابَلَةُ الْحُدُورِ مِنْ مَكَانٍ أَرْفَعَ. وَالصَّعُودُ: الْعَقَبَةُ الْكَئُودُ، وَالْمَشَقَّةُ مِنَ الْأَمْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]»(٤).

(١) الفروق اللغوية (ص١٢٨).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٩١).

(٣) العين (١/٢٨٩).

(٤) مقاييس اللغة (٣/٢٨٧).

وكذلك الراغب، فقد ذكر الأصل (الصعود) وعرفه فقال: «صعد الصُّعُودُ: الذّهاب في المكان العالي، والصَّعُودُ والحَدُورُ لمكان الصُّعُودِ والانحدار، وهما بالذّات واحد، وإنّما يختلفان بحسب الاعتبار بمن يمرّ فيهما، فمتى كان المارّ صَاعِداً يقال لمكانه: صَعُودٌ، وإذا كان منحدراً يقال لمكانه: حَدُور، والصَّعَدُ والصَّعِيدُ والصَّعُودُ في الأصل واحدٌ، لكنِ الصَّعُودُ والصَّعَدُ يقال للعَقَبَةِ، ويستعار لكلّ شاقٍّ. قال تعالى: ﴿وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا﴾ [الجن: ١٧]؛ أي: شاقّاً، وقال: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]، أي: عقبة شاقّة»[١]. وقد عرض ابن قتيبة للكلمة في تأويل مشكل القرآن فقال: «ومن الصّعد قيل: تصعّدني هذا الأمر، أي شقّ علي. والصَّعُود: العقبة الشّاقة. ومنه قوله: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]»[٢].

وأما معنى الآية فغير بعيد مما تقدم، والمراد عندهم جميعاً: مشقة يلاقيها المعذبون من أصناف التعذيب في النار عموماً، ومنها ما ورد في بعض الآثار أن يكلف بصعود صخرة ملساء في جهنم وغير ذلك[٣].

***

قال تعالى: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾ [النبأ: ٣٦].

قال ابن قتيبة: ﴿عَطَآءً حِسَابٗا﴾؛ أي كثيراً. يقال: أعطيتُ فلاناً عطاءً حِساباً؛ وأحْسَبْتُ فلاناً، أي أكثرتُ له. قال الشاعر:

ونُقْـفِي وَلِيـدَ الـحَيِّ إنْ كان جائعـاً ... ونُحسِـبُه إن كان ليـس بجائـعِ[٤]

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٤٨٤).
(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٢٤٤).
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١٩٤/٣)، مجاز القرآن (٢٧٢/٢)، تأويل مشكل القرآن (ص٢٤٤)، جامع البيان (٦٦٤/٢٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣٦/٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٧٧٣/١٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٣٦٧/٤)، تفسير السمعاني (٧٠/٦)، المفردات في غريب القرآن (ص٤٨٤)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٦٢٩/٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٨٣/٥)، تفسير القرطبي (١٩/١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤١٩/٢)، التحرير والتنوير (٢٤٠/٢٩).
(٤) البيت منسوب لامرأة من بني قشير في: لسان العرب (٣١٢/١)، وتاج العروس (٢٧٩/٢).

ونرى أصلَ هذا: أن يُعطيَه حتى يقولَ: حسبي»(١).

ذكر أبو عبد الله بن قتيبة أن أصل (حساباً) مشتق من قول الإنسان - بعد إكثار العطاء له -: حسبي، وهو يريد بهذا الأصل مصدر المعنى وكيف بدأ، وقد سبق إلى هذا الفراء، فقال: «اللهُ تَبارَكَ وَتعَالَى لا يُحَاسِبُ أَحداً عَلَى الْعَطَاءِ، وَلَكِنَّ مَعْنَى هَذَا أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتعَالَى يُعْطِي عَبْدَهُ فِي الْجَنَّةِ أَبداً حَتَّى يَقُولَ: حَسْبِي، وَهَذَا لا يَكُونُ إلا فِي الْجَنَّةِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَنُقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعاً وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ

قَالَ: «يُعْطِيهِ أَبداً حَتَّى يَقُولَ: حَسْبِي»(٢). ثم ذكره السجستاني فقال: «﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾: أَي كَافِياً. وَيُقَال: أَعْطَانِي مَا أحسبني؛ أَي مَا كفاني. وَقَالَ: أصل هَذَا أَن يُعْطِيَه حَتَّى يَقُول: حسبي»(٣)، وأما القرطبي فقد نقل قول أبي عبد الله بنصه مصرحاً بالأصل(٤)، وألمح الراغب إلى أن أصل الكلمة هي العدُّ فقال: «حَسَب الحساب: استعمال العدد، يقال: حَسَبْتُ أَحْسُبُ حِسَاباً وحُسْبَاناً، قال تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقيل: لا يعلم حسبانه إلا الله، وقال عزّ وجل: ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]، قيل: معناه: ناراً، وعذاباً، وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه»(٥)، وصرح بالأصل الطاهر ابن عاشور: «وحساباً: اسم مصدر حَسَب بفتح السين يحسُب بضمها، إذا عدّ أشياء، وجميع ما تصرف من مادة حسب متفرع عن معنى العد وتقدير المقدار»(٦).

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٥١٠).
(٢) المجالسة وجواهر العلم (٣١٠/٨).
(٣) غريب القرآن للسجستاني (ص٣٤٠).
(٤) تفسير القرطبي (١٨٥/١٩).
(٥) المفردات في غريب القرآن (ص٢٣٢).
(٦) التحرير والتنوير (٤٧/٣٠).

وأما ابن فارس فذكر الكفاية أصلاً والعد أصلاً، فقال: «(حَسِبَ) الْحَاءُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ أَرْبَعَةٌ: الْأَوَّلُ: الْعَدُّ. تَقُولُ: حَسَبْتُ الشَّيْءَ أَحْسُبُهُ حَسْباً وَحُسْبَاناً. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥]. وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الْكِفَايَةُ. تَقُولُ: شَيْءٌ حِسَابٌ، أَيْ كَافٍ. وَيُقَالُ: أَحْسَبْتُ فُلَاناً، إِذَا أَعْطَيْتَهُ مَا يُرْضِيهِ؛ وَكَذَلِكَ حَسَّبْتُهُ»[1].

ولم يبتعد أهل المعاني والتفسير عن معنى الإكثار حتى الكفاية، فذكر عامتهم: ﴿حِسَابٗا﴾: عطاءً كافياً، على أن بعضهم ذكر أقوالاً أخر. قال أبو محمد بن عطية: «واختلف المتأولون: في قوله: ﴿حِسَابٗا﴾، فقال جمهور المفسرين واللغويين: معناه: مُحْسِباً، كافياً في قولهم: أحسبني هذا الأمر؛ أي كفاني، ومنه حسبي الله»[2].

وجَمَع بين معنى العد والتكثير والكفاية الطاهر، فقال: «وحساباً: اسم مصدر حَسَب بفتح السين يحسُب بضمها، إذا عد أشياء وجميع ما تصرف من مادة (حسب) متفرع عن معنى العد وتقدير المقدار، فوقع حساباً صفة جزاء؛ أي هو جزاء كثير مقدر على أعمالهم»[3].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٩).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٤٢٨)، وانظر بقية الأقوال في: مجاز القرآن (٢/٢٨٣)، تأويل مشكل القرآن (ص٢٧٦)، جامع البيان (٢٤/١٧٤)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/٢٧٥)، غريب القرآن للسجستاني (ص٣٤٠)، تفسير القرطبي (١٩/١٨٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/٨٠٠٩)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/٤١٦)، تفسير السمعاني (٦/١٤١)، المفردات في غريب القرآن (ص٢٣٢)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/٦٩٠)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٤٢٨)، تفسير القرطبي (١٩/١٨٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤٤٦)، التحرير والتنوير (٣٠/٤٧).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/٤٧).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعد ليال كان مشعلها أبو محمد بن قتيبة حين وضع له سابقة في ألفاظ القرآن الكريم، فجعل لها أصولاً وفسَّر ومثَّل من خلال عبارة سريعة لطيفة لا تُعيي الفهم ولا تتشعب طولاً.

ومن خلال عرض كلامه واستعراض كلام الأئمة قبله وبعده وفي نهاية هذه الصفحات، فإنه يطيب للباحث أن يلفت الانتباه لشيء من الوصايا والنتائج، علَّ الله أن ينفع بها نفوساً تمر من هنا:

أولاً: سابقة ابن قتيبة في نصه على الأصل للكلمة القرآنية وتقدُّم زمانه، مما يجعل هذا البحث تنبيهاً لهذا السبق.

ثانياً: في الغالب أن مراد ابن قتيبة بالأصل هو أصل الاشتقاق من حيث بدأ الاستعمال، وهناك ما يصلح أن يكون أصلاً محورياً من حيث ذكره.

ثالثاً: سبْقُ ابن قتيبة في هذا التأصيل يسجل أولوية الفضل له، فلعله هو من أطلق الشرارة الأولى بالتنبيه للأصل واعتبار الاشتقاق الأول، ثم تناولها ابن فارس من حيث الدلالة المحورية؛ ولا شك أن عمل ابن فارس أشد وأشق، فقد حمل على عاتقه جميع ألفاظ الباب لتتبع الأصل الذي اختاره؛ ولهذا أرهقته بعض الجذور كما في بابي (عذر، عذب)، وفي كلٍّ خير.

رابعاً: من تأمل النظر في هذا البحث وجد من المفسرين من هو دقيق في عبارته وعميق في اختياره، وممن أجاد وأفاد في هذا ابن عطية والطاهر بن عاشور.

خامساً: أبو جعفر النحاس، والواحدي، وابن عطية، والسمين الحلبي، والطاهر ابن عاشور مفسرون يجري على أقلامهم أصول للمفردة القرآنية، فهي خليقة بالجمع والموازنة والتوجيه.

سادساً: تختلف عباراتهم في الدلالة على الأصل بين الصريح والكناية، ثم تعددت ألفاظ الكناية على ما قدمته.

سابعاً: ربما وجِد شيء من مقارنة وموازنة وتقديم قول على قول آخر في اجتهاد الباحث، ومهما يكن من صواب وزلل فهو خاضع لاستقراء الألفاظ ثم ذائقة باحث عن آخر في وزن الكلمة واحتمالها للمعنى، وهذا بابه واسع، والمقصود من هذا كله أن في المفردة القرآنية منبعاً لباحث ومجالاً لمتذوق وموقعاً لمتأمل.

ويبقى لهذا الجهد أنه مرتبط بآدمية باحثه وضعفه وحدود علمه، وأنه في فيء ستر الله عليه، ولغيره التسديد، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهرس المصادر والمراجع

- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**: للشيخ أحمد البنا الدمياطي، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد ابن إبراهيم بن الخليل القزويني، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان.
- **الأعلام**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة (٢٠٠٢م).
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، طبعة الكويت، الناشر: دار الهداية (١٤٢٤هـ).
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**: أبو المحاسن المفضل ابن محمد بن مسعر التنوخي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

- **تأويل مشكل القرآن**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، حققه: السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي عام (١٣٧٣هـ)، ثم صوّر ونشرته دار التراث بالقاهرة عام (١٣٩٣هـ)، ثم طبع عدة طبعات.
- **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر (١٩٨٤م).
- **التسهيل لعلوم التنزيل**: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).
- **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).
- **تفسير القرآن**: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).
- **تهذيب الأسماء واللغات**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م).
- **جمهرة اللغة**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- **طبقات المفسرين**: أحمد بن محمد الأدنه وي، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب**: محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- **غريب القرآن**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- **كتاب العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٣هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).
- **مجاز القرآن**: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فؤاد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٨١هـ).
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- **معاني القرآن وإعرابه**: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
- **معاني القرآن**: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).
- **معاني القرآن**: أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.
- **معجم مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).
- **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م).
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه**: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
- **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات والمفردات القرآنية

الموضوع أو المفردة	الصفحة
ملخص البحث	١٩
المقدمة	٢٠
أولاً: التمهيد	٢٢
أولاً: ترجمة ابن قتيبة الدينوري	٢٢
ثانياً: التعريف بكتابه «غريب القرآن»	٢٨
ثالثاً: أصل المفردة القرآنية	٣٠
ثانياً: قسم الدراسة: أصل المفردة القرآنية عند ابن قتيبة من خلال كتابه «غريب القرآن»	٣٢
يتوفى	٣٢
الإفك	٣٣
المفلحون	٣٤
القُرء	٣٦
ربيون	٣٧
مسافحين	٣٨
المراغم والمهاجر	٣٩
جاثمين	٤١
الوليجة	٤٣
متكئاً	٤٤
فاصدع	٤٨
نفيراً	٤٩
الوصيد	٥٠
فرطاً	٥٣
الهشيم	٥٥
حناناً	٥٦
عَنَت	٥٧
حصب	٥٩
عدوان	٦١

الموضوع أو المفردة	الصفحة
زلزلوا	٦٢
أوبي	٦٣
صفحاً	٦٥
أوزعني	٦٧
أضلَّ	٦٩
الذَّنُوب	٧١
القُوى	٧٢
مِرَّة	٧٣
تفاوت	٧٤
صَعَداً	٧٦
حساباً	٧٧
الخاتمة	٨٠
فهرس المصادر والمراجع	٨٢
فهرس الموضوعات والمفردات القرآنية	٨٧